محمد الغروي



الفقراء في ظل الرأسمالية والماركسية والاسلام

دار التعارف للمطبوعات
بيروت - لبنان



الفقــراء

في ظل الرأسمالية والماركسية والاسلام

محمّد الغروي



الفقراء في ظل الرأسمالية والماركسية والاسلام

دار التعارف للمطبوعات
بيروت - لبنان

● الكتاب – الفقراء في ظل الرأسمالية والماركسية والاسلام
● المؤلف – **محمد الفروي**
● النـاشر – دار التعارف للمطبوعـــات

ص ب ٨٦٠١
تلفون : ٢٤٧٢٨٠

كلمة الناشر

الفقر مشكلة عصيبة تعاني منه المجتمعات البشرية النامية والمتقدمة في أرجاء العالم وينذر بانفجار ينسف المؤسسات الاجتماعية والحكومية التي تحكم البلاد •

لقد بذلت المحاولات المخلصة منذ ايام افلاطون وارسطو الى عهد مونتسكيو وروسو وماركس و ••• من اعلام الفكر الانساني وعظماء تاريخ البشرية لمساعدة الفقراء ورفع مستواهم الاقتصادي والثقافي والاجتماعي وضمان أيام المرض والشيخوخة ، وتمخضت عن هذه المساعي والجهود قوانين تشدد على حق الفقراء في حياة رخية وتوزيع الثروات الطبيعية على كل الشعب على اساس العدالة الاجتماعية •

فظهرت أنظمة كثيرة منها الرأسمالية الجشعة التي وفرت للانسان الحرية من جانب وامتصت طاقاته وجهوده من جانب آخر ومنها الماركسية التي تخنق الانفاس وترصد

الاصوات من جهة وتدفع القوت اليومي لملأ البطون زاعمة انها قد حققت العدالة الاجتماعية من جهة اخرى •

وتوزعت الامة الاسلاميـــة الضالة سبيلها الساقطة في متاهات واسعة ظلماء بين هذين المحورين فبعضهم يستحسن اللحاق بركب الحضارة الرأسمالية والبعض الآخر يحلم في اقامة المجتمع الماركسي عبر النضال المستميت ، جاهلـين او متجاهلين ومتنكرين للنظام الاقتصادي الاسلامي الـذي وضعه رب العباد رحمة بالانسان وشفقة عليه •

ونلمس في هذا الكتاب مقارنة صريحة وواضحة بـين الانظمة الرأسمالية والماركسية والاسلام في خصوص القضاء على هذه المشكلة العصيبة •

وقد استعان المؤلف العلامة السيـد محمد الغروي في اخراج هذا الكتاب الى حيز الوجود من افكار استاذه المفكر آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر دام ظله المودعـة في كتبه القيمة •

ونحن قمنا بطبع ونشر هذا الكتاب للامـة المسلمة لعل الله سبحانه ان يهدي المسلمين الى صراطه المستقيم ويثوبوا الى رشدهم ومنهجهم الاصيل ويتركوا العدو واللهث خلف المبادىء المستوردة من اليمين واليسار انه سميـع عليـم مجيب •

النـاشر

تمهيد

ان المشكلة الرئيسية الاجتماعية المطروحة في عالمنا اليوم، والتي أخذت قسطا وافرا من الجهود والابحاث والافكار، والتي تفرز المصاعب والاثار السيئة في المجتمع ، هو الفقر والحرمان اللذان يسيطران على قطاع كبير من الشعب في ارجاء العالم المتقدم والمتخلف في الغرب والشرق ، حيث يعيش عشرات الملايين من الناس في حاجة الى غذاء وشراب وثياب وملجأ ، تنتهشهم الجراثيم والميكروبات وتغزوهم الامراض من كل جانب ، وتعلوهم الاقذار والاوساخ ضعفاء مهزولين لا يجدون وسيلة لانقاذ انفسهم من محنتهم القاسية ، ولا يلمسون يدا ممتدة نحوهم لاسعافهم ، ولا يهتدون الى من يرفع عن اكتافهم اعباء الحياة وثقل الليل والنهار ، ما دامت هناك نفوس جشعة تتكالب وراء المصالح والمنافع الشخصية ، وانظمة تدعم الفئات التي تمتص دماء الشعوب باساليب معسولة وشعارات مغرية حينا وبألوان من العنف والقهر حينا آخر .

وقد تصدت جميع الدول والانظمة في العالم لمكافحة هذه المشكلة ومعالجتها او التخفيف من ثقلها عن كاهل الفقراء والبائسين على الاقل • ولكن بعض الدول قد اخفقت في هذا المضمار كليا ونجح البعـــض الاخر في قيامه بدور التخفيف والتهدئة من وطأة المشكلة بالرغم من بروزمشاكل اخر ىفي الحياة الاجتماعية ومضاعفات أســوأ من قســوة الفقر وعذاب البؤس •

ونحن لم نستعرض كافة الانظمة السائدة في العالم المعاصر ولم تتابع الخطوات المتبعة لمقاومة الفقر على وجه الارض، وانما طرحنا الخطوط العريضة لنظامين حاكمين على رقعتين كبيرتين من كرتنا الارضية هما الرأسمالية والماركسية ثــم كشفنا الثغرات الموجودة في هذين المنهجين ، والمحنا الى عيوبهما ونقائصهما وبرهنا على عجزهما وقصورهما عــن توفير الرخاء والراحة لهذا الانسان المعذب مع المحافظة على حريته وكرامته وسيادته • وبعد ذلك طرحنا رأي الاسلام وموقفه امام هذه المشكلة وحاولنـــا ان نبرز الخطــوط والاساليب الموضوعة في الاسلام لمعالجة هـــذه المحنة الــدامية •

ولا أكتم عليك ايها القارىء الكريم بانني استخلصــت واستفدت هذا البحث المتواضع من استــاذي المعظــــم المفـــدى السيد محمـــد باقر الصـــدر دام ظلـــه

في كتبه القيمة فلسفتنا واقتصادنا والمدرسة الاسلامية واضفت مواضيع اخرى مرتبطة بهذا البحث اهتديت اليها عبر المراجعة والدراسة للكتب الاخرى التي عالجت هذا الموضوع وأولته اهتماما كبيرا .

وأملي كبير في أن يقع هذا الكتاب لدى الجيل المثقف موقع القبول ويدرسه بكل دقة وامعان ويقارن بين منهج الاسلام في حل هذه المشكلة العصيبة وحكمته وبين المناهج الموضوعة لدى الرأسماليين والماركسيين لمكافحة الفقر والحاجة ثم يهتدي الى تراثه واصالته ومجده ودينه .

وأسأل الله سبحانه أن يوفقنا لمتابعة الجهود في سبيل دينه وشريعته .

٢ — ١١ — ١٩٧٧م   ٢١ ذو القعدة ١٣٩٧ هـ

صور — محمد الغروي



مشكـلة الفقر

عاش الانسان منذ بداية حياته وولادته على وجه الارض، في حضن الطبيعة ، يسرح ويمرح ويقتات رزقه من لحوم الدواب الهائمة على وجهها ، والاسماك السابحة في الانهار والبحار ، والطيور التي تحلق في السماء ، ومن فواكـه الاشجار التي يقتطفها ، والزروع التي يجتثها او يحصدها ولم يصطدم بمنازع او منافس على ذلك ، الا ما كان يحصل من مشاجرات على اقتناء الاجود والاكثر من الطعام والثمار. لقد كانت الطبيعة كما أراد الله سخية للجميع ، وسبل الحياة مفتوحة في وجه كل انسان يعيش من دون ان يحس بمرارة الفقر وألم الجوع . ولا اعني من هذا العرض ان المجتمع البدائي قد عاش في ظل النظام الشيوعي ، وان كل شيء كان مشاعا في المجتمع يأكـل الانسان بقـدر حاجتـه ، ويأخذ بقدر طلبه ، ويدع الباقي لبني جلدته يتمتعون منه ويشبعون حاجاتهم حسب ما تستهوي الماركسية طرحه على انســان اليوم وتذكيره بالسعادة المنشودة التي ســادت حقبـا من الزمن على المجتمع البشري ، ثم حرم منها اثر نمو وسائل الانتاج واهتدائه الى سبل تطوير الزراعة وتدجين الحيوانات

على ما تحلم به الماركسية لتلك الحياة الجماعية الرخيصة المبتذلة التي تعد جنة موعودة في قاموس الاديان .

وانما أقصد من وراء ذلك العرض ان قلة افراد الناس وبساطة العيش ووفرة الطعام وسهولة الحياة في مطلع التاريخ قد بعثت الى القضاء على الفقر ، وتمكن الجميع من تهيئة حاجاتهم القصوى من تأمين المسكن والملبس والمعاش وامتلاك ما يفتقرون اليه من المرافق والوسائل الحيوية التي تعد ضرورية بالرغم من وجود التفاوت والاختلاف في مستويات العيش والحياة حسب الجهود المبذولة من الافراد والمواهب الفكرية المسخرة للطبيعة .

وكلما ازدادت قدرة الانسان على استخدام الادوات في الانتاج وتضاعفت الجهود المبذولة لمعرفة اسرار الكون، وتعمقت الابحاث ، وطغت المادية على المشاعر وكبر الحرص والجشع ، كلما كان الاختلاف في مستويات العيش اعظم فمن غني متخم تتكاثر امواله وثرواته الى متوسط يعيش كفافا كريما الى فقير يطوي بطنه الخاوي ويتضور من الجوع والمسكنة .

ثم بدا الفقر على سمت ووجوه قطاع من المجتمع ، وبانت الحاجة والبؤس على حياتهم من البيت المتواضع المتداعي

والثياب البالية والقوت اليسير ، الى جانب القصور الشامخة، والملابس الفخمة والحياة الرخية ، وتوسع الفقر الى قطاع كبير من الشعب شيئا فشيئا .

ولم تقف مشكلة الفقر عند حد الحياة المادية بل اصبحت ذات ابعاد ثقافية واجتماعية وسياسية ونفسية نستطيع ان نوجزها على النحو الآتي :

١ ـ انتشار الظلم الاجتماعي بعد ان يهيمن اصحاب الثروات على الحكم والقانون بشراء الاصوات والضمائر بأموالهم الرخيصة .

٢ ـ المروق عن الدين والكفر به .

٣ ـ امتلاك الطبقة الثرية مرافق الحياة وتكثير اموالها وثرواتها على حساب المستضعفين والمساكين.

٤ ـ شيوع القلق الاجتماعي لدى تخلخل القوى المالية في المجتمع .

٥ ـ انتشار الامراض الجسمية والنفسية والعقلية .

٦ ـ التخلف الحضاري والمدني.

٧ ـ الفساد الخلقي من الرشوة والاختلاس وهتك الاعراض .

٨ ــ تفشي الامية والجهل .

٩ ــ زرع الحقد والكراهية في صدور الفقراء تجــاه الاثرياء.

١٠ ــ القضاء على المواهب البشرية بعد ان يعجز الفقير عن صقلها وتنميتها .

١١ ــ شيوع المخدرات لنسيان الحرمان وويلاته .

١٢ ــ ازدياد الاجرام والسرقات في المجتمع .

وهذه بعض مضاعفات الفقر وعواقبه الوبيلة التي تبــدو في المجتمع الذي يعاني من البؤس والحرمان ، ويعيش تحت ثقل وكابوس المسكنة والفقر .

وقد انبرى المصلحون وفي طليعتهم الانبياء منذ البداية لوضع حلول صحيحة حسب ارادة الله المتجسدة في الاديان والقوانين السماوية، ومقاومة هذا الداء الفتاك العضال الذي ينخر الهيكل البشري ويقوض الكيان الاجتماعي ، وتوزيع الثروة بين الناس على اساس العدالة الاجتماعية .

وحظى هذا الامر بنصيب وافر من الاهتمام في برنامجهم الاصلاحي وتحركهم في المجتمع لاجل ان يعيش الانسان حياة كريمة .

لان الله سبحانه وتعالى يريد الخير والنعمـــة والرزق والكرامة للجميع ويحب ان يشاهد الناس متنعمين بثروات الطبيعة فانه عادل في كل شيء وأمر الناس بالعدل :

« إِنَّ اللهَ يأمُرُ بِالْعَدْلِ والإحْســانِ » (٩٠/النحل .)

وفضل القائم بالعدل على المتواني والمتخاذل عنه .

« هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ » (٧٦/النحل) .

وكتب على نفسه القســط والعدل :

« وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ » (١١٥/الأنعام) .

وكلماته آياته الكونية من الناس والحيوانات والاشجار ويأبى ان تكون الطبيعة مخلوقة الا على اساس التــوازن والعدل وتكون آياته التشريعية وقوانينه متطـابقة مـع متطلبات الانسان الفطرية العادلة .



الرأسمالية والفقراء

يقتصر هذا البحث على معطيات النظـام الرأسمالي نظريا ولا يتطـــرق الى بعض الممارسات التي يقوم بها الرأسماليــون في العالم من الشفقة والعطف والتعاون مـــع الطبقة البائسة الفقيرة والتي لا تنسجم مع طبيعة النظام الرأسمالي الاسود الغاشـــم النابعة من التراث الديني والخلق الانساني • فان مدلول النظام الرأسمالي شيء وممارسة الرأسماليين شيء آخر •

الراسمالية والفقراء : ـ

ومن الانظمة الوضعية الحديثة نسبيا التي أولت اهتماما كبيرا لمسألة الفقر واجتثاثه من المجتمع ، وأرادت حياة رخية وميسورة لكافة الطبقات والفئات التي تعيش في اطار الدولة ، النظام الرأسمالي •

وهذا النظام يتسم بلون معين في المجتمعات البشرية ورؤية خاصة في حقلي الاقتصاد والسياسة •

لقد اتخذت الرأسمالية الحرية الاقتصادية وسيلة لتنمية المواهب الفكرية وتحريكا للقدرات الشخصية ودفع الناس للعمل والنشاط الاقتصادي والتجاري بكل اراداتهم وحريتهم لممارسة هواياتهم وما يتوقون اليه للارتزاق والانتعاش في الحياة •

وبرر بعض المتحمسين للنظام الديموقراطي الرأسمالي الحرية الاقتصادية بمبررات اجتماعية وفنية وانسانية هي :

١ ـ الارتباط الوثيق القائم بين المصالح الذاتية الفردية التي يندفع وراءها الانسان والمصالح الاجتماعية التي تفيض على الناس الخير والرفاه وتغمرهم بالرخاء واليسر وتنجز لهم المؤسسات ذات الفوائد الجمة التي تعين الفقراء على مشاكلهم الحياتية وتخفف عنهم عبء المعيشة وثقل الفاقة والشقاء •

وذلك ان الحرية الاقتصادية في كافة المجالات من التجارة والتصدير والاستيراد والانتاج تدعو الى التنافس الحاد والصراع المستميت بين ارباب العمل والرأسماليين • ويتمخض عن هذا السباق والصراع تحسين الانتاج وتخفيف نفقات التكليف ووفرة البضاعة في الاسواق •

لان كل صاحب مشروع يخطط لكي ينتصر على منافسه في حقل التجارة والاقتصاد ولا يمنى بهزيمة ولا خسارة •

ومما يعبأ به رب العمل تحسين وضع العمال ورفع مستوى معيشتهم وتأمين الاجور الكافية ومساعدتهم في المسكن والدراسة والمصح وايام الشيخوخة وتهيئة المناخ الصحيح حتى يندفعوا بقوة ونشاط نحو العمل من جهة ولا ينخدعوا بوعود رب عمل آخر تجاه الخدمات الاجتماعية والصحية والثقافية من جهة اخرى •

فلا ضرورة اذن في توجيه الناس نحو القيم والمثل والاخلاق والروحانية بعد ان يندفع اصحاب المؤسسات

الاقتصادية الضخمة الى تقديم الخدمات الواسعة واسعاف الطبقة الفقيرة بوحي من غريزتهم الذاتية الفرديـة •

٢ ـ ان الحرية الاقتصادية خير وسيلة لدفع عجلة القوى المنتجة الى الامام وافضل سبيل لاستنزاف الطاقات الجسدية والامكانات الفكرية في سبيل التقدم العلمي والتقني • وذلك ان الحرية الاقتصادية توفر مناخا للمنافسة والسبـاق على تحسين الصناعة وتوفيرها في الاسواق بكميات هائلة واثمان بخسة وهذا يتطلب استنفار الجهود العلمية والصناعيـة لاكتشافات جديدة واختراعات حديثة وفي ذلك سعـادة ورخاء للمجتمع بأسره من دون حاجة الى روحانية او سمو في الاخلاق •

٣ ـ تعتبر الحرية في حقل الاقتصاد والانتاج جزءا من الحرية العامة التي هي رمز كرامة الانسان ومجده وعزه• اذ لا خير في مجتمع لا يتمتع انسانه بالحرية ويكون مغلولا ومحدودا في تصرفاته وانجاز رغباته •

وبفضل هذه الحرية يتفوق الانسان على كل الكائنـات الحية التي تحيط به في الكون •

هذه هي المبررات الثلاثة التي يلتجأون اليها للدفاع عن الحرية الاقتصادية •

الحرية الاقتصادية والحرية السياسية : ـ

ثم شفع الرأسماليون الحرية الاقتصادية بالحرية السياسية حتى يتمكن كل انسان وخاصة الطبقة الفقيرة المسحوقة ان يعبر عن رأيه ورغبته في ميدان السياسة ٠

ومن الواضح بان القطاع الكبير من الجماهير يشكلون الطبقة الفقيرة العاملة والمزارعة وهم يستطيعون ان يرغموا الدولة في ظل الديموقراطية والحرية السياسية على معالجة مشاكلهم الاقتصادية والاجتماعية ٠

فالطبقة البائسة من العمال والفلاحين يمتلكون القدرة الكبيرة لتوجيه البلاد والحياة السياسية نحو المناهج التي ترتئيها الفئات المحرومة المسكينة ويفرضون ارادتهم على الهيئة التشريعية من الدولة بالاضراب والمظاهرات والانقطاع عن العمل والتضامن الواسع بين كافة القطاعات العاملة ولا محيص للدولة الا الرضوخ والاستجابة للمطالب المعلنة من قبل المضربين والمتجمهرين ضد ارادة الدولة وسلطتها ٠

ونسمع بين الفينة والفينة الاضراب في قطاعات خاصة من عمال بريطانيا او فرنسا او المانيا مطالبين بزيادة اجورهم او تخفيض عدد ساعات العمل او تحسين ظروف العمل، والحكومة تركع امام هذا الضغط الجماهيري وتلبي

مطاليبهم . فلا يجد الفقراء ــ حسب زعم الرأسماليين ــ الظلم او الاضطهاد او الهيمنة على الشارع والاعلام لتزوير الحقائق كما لا يشهدون البؤس في الدول الرأسمالية نتيجة توفر الحرية الاقتصادية والحرية السياسية .

وزائدا على ذلك ان المؤسسات العمالية مثل النقابات انتعشت في البلاد الرأسمالية واخذت تدافع عن حقوق العمال وتقاوم ظلم الساسة وطغيانهم اذا تجاهلوا حقوق هذه الطبقة الواسعة .

كما ان هناك تكتلات سياسية عمالية مسموح لها بترشيح ممثلها للانتخابات وارساله الى البرلمان ولهم لجان وتجمعات تدرس الاوضاع الاجتماعية للعمال وظروفهم الصحية والثقافية وتؤيدهم لدى المطالبة بحقوقهم على منبر الندوات العالمية وصفحات الجرائد والمجلات والنشرات بمختلف اللغات وعلى جميع الاصعدة الاعلامية والثقافية.

فالرأسمالية العالمية تنادي بالحرية الاقتصادية والسياسية وتزعم بان رخاء الحياة ورفاه الطبقة الفقيرة مرتبطان بهذه الديموقراطية السياسية والحرية في التجارة والعمل وان البؤس ينحسر عن المجتمع الذي يتمتع بهذه الارادة المطلقة .

نقد مزاعم الرأسماليين : ـ

وبعد هذا العرض المسهب لمذهب الرأسماليين وحججهم الدامغة ـ حسب زعمهم ـ لترسيخ الحرية الاقتصادية في المجتمع واختلاس اموال الناس تحت مظلة الحرية ، نبدأ بتفنيد هذه المبررات الثلاثة التي التجأوا اليها ومقارعتهم بأجوبة مفحمة ثم نومىء الى بعض مساوىء هذا النظام الجائر •

واليك الاجوبة حسب الترتيب الذي طرحنا لمزاعم الرأسماليين الثلاثة :

١ ـ ان التجربة الرأسمالية التي مر بها الانسان قد دلت بان الحرية الاقتصادية بدلا عن ان تكون سبيلا لتحقيق المصالح الاجتماعية وبناء الكيان الاجتماعي على اساس التعاون والتآزر ، انقلبت الى سلاح ماض وفتاك في ايدي الاثرياء واصحاب المصانع والمشاريع الاقتصادية ، يتذرعون بها لابتزاز الثروات والاموال عن الآخرين وان استدعت ضرب الرؤوس وحبس الانفاس واضطهاد الآمنين واتخاذ خطوات قاسية ضد المواطنين •

لان الحرية الرأسمالية قد مكنت القوي من الحق القانوني للتعبير عن تملكه لكل شيء يهواه ، بعد ان وفرت

له الاجواء الحرة لممارسة العمل بالصورة التي يرتئيهـا ويحبذها وان كلفته هدر حقوق الآخرين وسحق كرامـات النـاس •

واي هدر اعظم من ان الانسان قد غدا في ظل الحريـة الاقتصادية سلعة ساقطة في مهب رياح العرض والطلـب وانيطت حياته بالاجرة التي يدفعها اليه رب العمل بعد انجاز العمل • فاذا كثرت الايادي العاملة انخفضت اجورهـم وتدنت حياتهم الى مستوى لم يقدروا على اشباع حاجاتهم الاساسية وطردوا من المعامل جائعين بائسين•

والحرية الاقتصادية تعتبر من أفتك اسلحة الانسـان بالانسان واقذرها في سبيل استعباد الانسان واستثماره •

واكبر شاهد على ذلك تاريخ القارة الافريقية وتسـابق كل من بريطانيا وفرنسا وهولندا وغيرهامن الدول الرأسمالية لاستيراد كميات كبيرة من سكان افريقيا الآمنين وبيعهم على اصحاب المعامل والمصانع •

وكانت طريقتهم للسطو على الافريقيين تتمثل في حـرق القرى كي يلوذ السكان الآمنون الى الفرار مذعورين وجلين ويسقطون في الشرك الذي نصبوه لهم ، ثم يمسكونهـم ويقودونهم الى السفن التجارية • واستمروا على هذه العملية

البشعة اللاانسانية حتى القرن التاسع عشر فقامت بريطانيا بحملة ضد هذه التجارة بعد ان شبعوا منها ولكنهم التجأوا الى محاولة اخرى أمر وأدهى من ذي قبل هي استعمـــار تلك القارة الفائضة بالخير والنعمة .

واذا كان هذا صنع رب العمل بالانسان فكيف يكــون سلوكه مع مصالح المساكين المحتاجين المقهورين ؟

٢ ـ ان التنافس والسباق لدى اصحاب المشاريـــع الاقتصادية الواسعة في ظل الحرية يبعث على التنمية وتحسين الانتاج اذا كانت الفرص والامكانات لـــدى الاطـراف المتصارعة بدرجة واحدة ومتكافئة ، حيث لا يحصل غالب ولا مغلوب فيبقى التنافس ويحصـل السباق ويتطــور الانتــاج .

واما اذا اختلفت الامكانيات والطاقات الانتاجية انتهى التنافس الى الاحتكار وهيمنة البعض القليل من اربـاب العمل على الاسواق .

ويضاف الى هذا اننا اذا حافظنا على الصراع والتنافس من دون ان يولد الاحتكار وتحكم فريق على كافة الفرقاء، فان هذا السباق ينمي الانتاج ويحسنه ولكنه لا يوفر الرخاء ولا يبعث على الرفاه فان توفير السلعة وتطويرها وكثرتها

شيء وازاحة كابوس الحاجة وعبء الحياةعن اكتاف المساكين شيء آخر •

ومن هنا تكون البطالة في الدول الغربية وامريكا كارثة وفاجعة تتحاشى الدول الرأسمالية منها بالرغم من تطـور السلع وكثرتها في تلك البلاد •

٣ ــ تعتبر الحرية الطبيعية في الانسان اساسا لكرامتـه وعزه ومجده وبها يتفوق على كافة الحيوانات •

ان الحيوان يسير وراء نزعاته وميوله ولا يملك قوة على كبح جماح الشهوات او اختيار السلوك الحسن في حـين ان الانسان يتمتع بالحرية ويكون مسؤولا عن تصرفاتـه واعماله وسلوكه لانه بفضل تركيبه النفسي والعضـوي يستطيع ان يقهر شهواته ويقاومها ، كما يستطيع ان ينساق معها وينجرف وراءها •

ولا ينكر احد في ان هذه الحرية تغدق على الانسان قيمة لا يحصل عليها من وراء أي صفة اخرى •

ولكن توفر مثل هذه الحرية لا يرتبط بالرفاه والرخاء والتوزيع العادل للانتاج على الانسان الفقير •

مساوىء النظام الرأسمالي : ـ

انطلق الانسان في ظل النظام الرأسمالي الـذي يوفر الحرية الفردية على صعيد التجارة وقضايا الاقتصاد باوسع نطاق واكبر حد يمنح الانسان حق المزاولة لمختلف اساليب الكسب وشتى ألوان النشاط لتحقيق مكاسب اكثر وارباح أوفر ، انطلق في العمل والكسب فسخر العلم المتطـور في الانتاج واستغل العلماء والمكتشفين في سبيل تحسين المصانع والمعامل من جهة وتوفير نفقات السلع والبضائع من جهـة اخرى وتطوير المنتوج من جهة ثالثة • وانتهت هذه الرحلة الاقتصادية الى ولادة الآلات الحديثة في عـالم الصناعـة والانتاج حيث غمرت الاسواق المحلية والعالمية بالسلـع المنتجة وابادت الصناعات اليدوية واكتسحت جميع مجالات العمل التي كانت تدر على اصحابها والعاملين فيها ارباحـا يسيرة •

وأسفر هذا الغزو الاقتصادي المتطور عن ثراء فاحش في أيدي القلة ممن استطاع ان يمتلك الوسائل الحديثة للانتاج من جانب وعن فقر مدقع ممن انهارت حياته وافلس في حقل الصناعات اليدوية من جانب آخر •

وكلما تحسنت ادوات الانتاج اكثر وتمكن الرأسماليون من الاسواق اكثر كلما تضخم الثراء في ايدي القلة من رجال

الاعمال وازداد البؤس والحاجة لدى القطاع الكـبير من الشعب اكثر •

وما هذا التضخم المالي في امريكا وبعض الدول الاروبية الرأسمالية والبطالة المتفشية في هذه المناطق الا نتيجة النظام الحر الرأسمالي السائد هناك •

وتنذر البطالة بنسف كيان المجتمع وانهيـــار الدولـة والمؤسسات الاقتصادية وحدوث مشاكل خطيرة اجتماعية واقتصادية مما دفع بالخبراء الاقتصاديين والسياسيين الــى بذل محاولات خائبة لتلافي هذه الظاهرة الفتاكة •

ثم ان هذه الحرية الاقتصادية التي اسفرت عـن الثراء الهائل قد مكنت الرأسماليين من الهيمنة على سياسة البــلاد الداخلية والخارجية بعد ان لمسوا في الحرية السياسية لدى المواطنين خير نافذة لنيل مآربهم الشخصية •

لقد كان الاغنياء يبذلون الاموال في سبيل السيطرة على وسائل الدعاية وشراء الاصوات لانتخابات من يطمئنون اليه من المرشحين ذوي الضمائر الخسيسة الجشعة ، لحمـاية مصالحهم وضمان ممارساتهم الاقتصادية وكانت النهايـة المحتومة من جراء الحرية الاقتصادية والرأسمالية سـقوط الدولة بكامل مؤسساتها وهيئاتها بما فيها اللجنة التشريعية

والتنفيذية في ايدي الاقلية الرأسماليين.

ونجم عن ذلك انقلاب النظام الرأسمالي الديموقراطي في الشكل والظاهر الى نظام استئثار الاقلية المحكومة لعقلية فردية انانية ذات مصالح شخصية بالحكم دون الاكثرية الساحقة .

الراسمالية والاستعمار : ـ

وهنا تبرز المآسي والفجائع حيث ان العقلية النفعية والنفسية الجشعة التي تحرض صاحبها الرأسمالي الاناني الى عدم الاقتناع بالرقعة والمنطقة التي يحكمونها اندفعت وراء نهمهم وحرصهم فأخذوا يفتشون ويتحروز عن بلاد جديدة واسواق اخرى وذلك لامرين :

١ ـ البحث عن المواد الخام التي تتصنع وتستخدم في حياة الانسان . وهذه المواد الاولية منتشرة ومبعثرة على أرض الله الواسعة ، وليس من الهين ابتزازها واختلاسها بل يحتاج الى السيطرة على تلك البلاد ليتسنى له السطو على خيراتها ومعادنها ومناجمها وثرواتها الطبيعية .

٢ ـ التحري عن اسواق جديدة في العالم لارسال البضائع الفائضة عن حاجة بلادهم واستهلاكها في تلك المجتمعات المتخلفة مدنيا .

بالاضافة الى ان الرأسمالي المستأثر يحاول جاهدا ان يجعل مستوى الشعوب ذات الاراضي الغنية منحطا ومتخلفا حتى يكونوا في حاجة ماسة الى الشعوب الراقية المتمدنة. كما يسعى في اثارة الفتن والحروب والعـــداء واستفزاز شعب على آخر حتى يسهل عليه الاستحواذ على تلـــك الرقع والشعوب التي تعيش عليها .

وقد لعبت الدول العملاقة الكبيرة في هذا المجال عبر الاحزاب التي تخلقها على ايدي عملائها والشعارات الزائفة البراقة التي ترفعها واثارة النعرات القومية هنا وهنـــاك خير لعبة لتمزيق البلاد وضرب الشعوب بعضها ببعض حتى تستنزف الطاقات والثروات ولولا افتعـــال الرأسمالي الاستعماري للاحزاب اليمينية واليسارية وخلق المشاكـل الاجتماعية والنفسية وتأجيج اوار الصراعات في منطقـة الشرق الاوسط وافريقيا وتفرقة الامم على اساس الطائفية او الاقليمية او القومية او العنصرية لما تمكن من امتصاص البترول المتدفق في الشرق الاوسط والمعادن والمناجم في افريقيا والاستيلاء على اسواق هذه البلدان .

الراسمالية واسرائيل : ـ

وما اسرائيل في قلب المنطقة الاسلامية الا نبت الاستعمار وصنيع المستغلين لاستنزاف كل الخيرات الطبيعية وتهجير

الادمغة البشرية والتمكن التام على هذه الرقعة اقتصاديا وسياسيا .

وساعد على خطورة هذه اللعبة وسهولة تنفيذ هذه المؤامرة القذرة الوفاق الدولي الذي كاد ان يتم بين الدولتين الجبارتين في عالمنا اليوم الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي .

فلقد تم تكوين اسرائيل بعد التزاوج الذي حصل بين هاتين العملاقتين وتم التخطيط له في البيت الابيض وكرملين فبعد ان وجدت اسرائيل اعترفت بها امريكا ثم الاتحاد السوفياتي على لسان مندوبهما في الامم المتحدة .

واخذت امريكا تغذي اسرائيل بالعتاد والاسلحة والاموال والسوفيات تسعفها بالرجال والامكانات البشرية .

كما ان الاتحاد السوفياتي لم تزود الدول العربيةالمجابهة الا بالاسلحة الدفاعية واذا قدمت شيئا من الاسلحة المتطورة فقد اشترطت ان تكون تحت اشراف سوفيتي لئلا تستعمل ضد اسرائيل .

وقال الدكتور « ضياء الدين بيبرس » في دراستهالشهيرة من ٥ يونيو ٦٧ الى ٥ يونيو ٧٥ « ان الاتحاد السوفياتي

قد زود الامريكيين بالخرائط الدقيقة الـــتي تكشف عن مواقع الصواريخ المصرية ولولا قرار انور السادات بطـرد الخبراء السوفياتيين ونقل بعض القواعد الصاروخـية من اماكنها لما استطاع الجيش المصري من عبور القناة »•

فالكل يتآمر ضدنا والجميع يستغل ثرواتنـا والدول العملاقة تمتص دماءنا •

الرأسمالية والحروب في العالم : ـ

ولا نزال نحن في الحديث عن بعض الممارسات للرأسماليين في العالم المنبثقة عن نظامهم المستوحاة عن مبـــادئهم وفي طليعتها الحروب التي أوقدتها واججتها على ارجاء الارض•

لقد أبادت الرأسمالية في الحرب العالمية الاولى اكثر من ٢٢ مليون انسانا وفي الحرب العالمية الثانية ما يقارب من ٧٠ مليون انسانا وقتلت بريطانيا لاخضاع الصين امام تاجها اكثر من عشرين مليونا من الناس وقتلت فرنسامن الجزائريين اكثر من مليوني انسان كما وان الرأسمالية قتلت الكثير من الناس في الحروب الجانبية التي أثارتها بين دولة واخـرى او بين طائفة واخرى مثل حرب الهند وباكستان والحـرب المسعورة بين المسلمين والمسيحيين من الفليبيين وحرب كوريا الجنوبية وكوريا الشمالية وحرب العرب واسرائيل وحرب اثيوبيا واريتريا وحرب فيتنام الجنوبية والشمالية و •••

من رحى الحرب التي طحنت ما لا يحصى من الابرياء الذين لاقوا مصرعهم على يد التخطيط الرأسمالي للبلوغ الى مصالحه الشخصية الدنيئة •

الراسمالية والعنصرية : ـ

لقد ظهرت في الدول الرأسمالية نتيجة الاتنفاع والترف المادي العنصرية البغيضة الممقوتة « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » فوضعت حاجزا بين العنصر البشري الاسود والابيض في معظم مرافق الحياة الاجتماعية فلا يحق للاسود ان يدخل مطاعم البيض او فنادقهم او مستشفياتهم او بعض الشوارع والاحياء السكنية التابعة للبيض • وحي « هارلم » بنيويورك اكبر شاهد ودليل على ظلم الرأسمالية للسود واعتناقها للعنصرية •

وهكذا جنوب افريقيا حيث يتمتع البيض فيها بكافة الامتيازات ويحرم السود من أبسط الحقوق الانسانية حتى من مصافحة الاسود لاخيه الابيض •

الراسمالية والفساد والميوعة : ـ

ذهبت الرأسمالية الى حدود لم تخطر على بال الانسان من قبل لكسب المال الاكثر في ظل الحرية المتاحة فاستعمال المواد المخدرة والاباحة الجنسية الشاذة والازدراء بالحياة

المتعارفة من مظاهر الميوعة والانحراف في سلوك الانسان الرأسمالي •

تقول بعض التقارير « ان مكتب مكافحة المخدرات في الولايات المتحدة قد صادرت خلال عام ١٩٧١ من المخدرات ما تبلغ قيمتها ٩٢٠ مليون دولار »•

وقال « شارلزرايخ » استاذ القانون في جامعة « بال » الامريكية في كتابه « من اجل امريكا خضراء » :

« تتعاطى امريكا تجارة الموت ليس بالنسبة الى شعوب الدول الاخرى فحسب بل هي تتاجر بالموت مع شعبها ايضا ونظرة واحدة الى الصفحات الاولى من الصحف اليومية تكشف لنا بوضوح عن تفسخ هذا المجتمع وانحلاله نتيجة لجو القلق والرعب الذي يعيش فيه بالاضافة الى غياب القانون » •

ويمضي قائلا :

« وقامت دراسة قام بها احد معاهد الاحصاء في امريكا واثبتت ان امريكا تنتج كل عام ١٣ مليارد قرص مهدىء للاعصاب وهذه الكمية تكفي لان يحصل كل امريكي على ٧٢ حبة في السنة » •

وفي تقرير آخر عن امريكا :

« والجدير بالذكر ان مجموع المنحرفين جنسيا في الولايات المتحدة الامريكية اكثر من ١٥ مليون منحرف.

« وان أرباح صناعة الجنس تزيد على المليارد دولار في الولايات المتحدة الامريكية فقط وهناك ٢٠٠ شركة جنسية على الاقل تصدر عشرات الآلاف من الكتب والمجلات ومئات الافلام المختصة ».

وعن لندن :

« اما في لندن فقد ارتفع عدد حالات الاجهاض من ٥٠ الف في عام ١٩٦٩ الى ٨٣ الف في عام ١٩٧٠ ونحو ٢٠٠ ألف في عام ١٩٧١ ».

وعن دول اخرى :

« وترتفع هذه النسبة في فرنسا لتصل الى ما بين ٤٦ ـ ١٤٣ اجهاض لكل مائتي ولادة و١٦٪ الى ٩٥ بالمئة في ايطاليا و١٢٤ ـ ١٣٧ في بلجيكا و ٧٨ ـ ١٣٥ في النمسا » (١)

---

(١) ملحق صحيفة النهار البيروتية بتاريخ ٢٧ شباط ١٩٧٢

هذه بعض نتاج النظام الرأسمالي في الدول الخاضعة للرأسماليين .

ونستخلص من كل ما أسلفنا انه لا يمكن الاعتماد على هذا النظام الفاسد لارجاع الحقوق المسلوبة الى الانسان المحروم وتلبية حاجات الكادحين وسد عوز الفقراء والمحرومين .

الرأسمالية والمادية :ـ

ان النظام الرأسمالي بالرغم من انه لم يتخذ لنفسه منطقا فلسفيا خاصا ولا نظرية محدودة الى الحياة ولا اتجاها معينا في عالم النظريات والافكار تجاه الكون والطبيعة، وبالرغم من انه لم يغلف بلون معين من الالوان الفلسفية المادية او المثالية او الالهية وانما فسح المجال امام الافراد لكي يختاروا ما يريدون من الاتجاهات الفلسفية التي يرتأونها ويفضلونها ، ومنحتهم الحرية في العقيدة والفكر في مضمار الاديان والمبادىء والفلسفات الالهيةاو الالحادية. ولكن العقلية الرأسمالية انزلقت في متاه المادية ونزعت نحو الفلسفات الالحادية .

وذلك لامور ثلاثة :

١ ـ طغيان التجربة في بداية الانقلاب الصناعي على

بساط الابحاث العلمية ورفض النظريات العقلية التجريدية البحتة ، والانطلاق في الدراسات البشرية والطبيعية والكونية عبر الاختبار والفحص •

لقد اكتشفت العلوم الحديثة على ضوء التجربة أسرارا جديدة وهامة عن الطبيعة بعد ان كانت في طي الجهل والنسيان واماطت اللثام عن حقائق جديدة استغلها المعلم في حياة الانسان وتقدمت بالمدنية الى مجالات لم تخطر على البال ابدا •

٢ ـ تضعضع المفاهيم التي كانت تعد من الحقائق الصحيحة ، وانهيارها امام الشك والريب الذي أحدثته التجربة • فمثلا ان الهيئة اليونانية البطلميوسية قد اقرت بان الارض مركز في المنظومة الشمسية وان الشمس تحوم حول الارض وبعد ذلك جاء كوبرنيكس واثبت على ضوء التجربة بان الارض هي التي تدور حول الشمس، فتقوضت بهذا الاكتشاف الجديد نظرية بطلميوس التي سارت احقابا طويلة في حقل العلم والمعرفة • ومثل هذه الانتفاضة العلمية بعثت بروح الشك الجارف في كل العلوم والافكار التي تركتها عقول السابقين •

٣ ـ سخط المثقفين وتذمرهم من الممارسات الشنيعة

ضد العلماء والمكتشفين على ايدي محاكم التفتيش عن عقائد الناس الكنسية •

وهذه العناصر الثلاثة افرزت النزعة المادية في العقلية الفردية الرأسمالية والتخلي عن جميع القيم والاخلاق والتراث والدين •

وناهيك عن المجتمع الذي يتبنى النزعة المادية وينطلق من الايمان بالمصلحة الشخصية ولا يرى للحياة الها ولا على الناس رقيبا ولا لممارسات الانسان مكافأة ابدا •

وكيف يسوغ لشخص ان يطمئن الى انسان لا يرى رصدا على مقترفاته وخطاياه ولا يشهد خالقا وربا ولا ثوابا ولا عقابا ويعتقد بان المقياس العملي في حياةالافراد يرتبط بما يحرزه من الاموال والثروات •

وما يدافع عنهم بان المجتمع الديموقراطي الرأسمالي يقدم خدمات اجتماعية عظيمة لا بدافع من القيم او الاخلاق او الدين وانما باندفاع من المصلحة الشخصية وحب الذات وذلك ان الرأسماليين يدركون بان المجتمع يتكون من اعضاء مترابطة متلاصقة لا يمكن التفكيك بين الافراد بعضهم عن بعض في القضايا العامة مثلا اذا انتشر مرض معدي في الطبقة الفقيرة فسيفشو في المجتمع باسره ، واذا كثرت الاوساخ في البلد فستفرز الجرائيم الفتاكة وتخلق امراضا وبيلة للمجتمع ، واذا تركت الطبقة الفقيرة

جائعة فستثور عليه هذه الطبقة ، واذا لم تشيد المدارس والمعاهد لحرم الجيل من الثقافة والمعرفة ، وهكذا فبايحاء من المصلحة الشخصية ينطلق الرأسمالي لتأمين المصالح الاجتماعية ورفع مستوى حياة الفقراء وتلبية حاجات العمال والفلاحين كما ذكرناه في المبرر الاول من المبررات الثلاثة ولكن هذا الحديث ضرب من الجنوح والخيال ولا ينبثق عن الواقع ابدا . فالرأسمالي الاناني ذو الثروة والقدرة المنسلخ من الدين المحمي من غير تحفظ ولا تحديد بكافة قوى الدولة الضاربة اطنابها في الدولة ، لا يتنازل مقدار خردل واحد عن مصالحه ومنافعه الشخصية .

ويضاف الى هذا ان معظم الخدمات الاجتماعية لاترتبط بحياة الطبقة الغنية بعد ان يتمكن الاثرياء بفعالية اموالهم الفاحشة ان يضربوا على طبقتهم ومجتمعهم حصنا يعيشون ضمنها حسب ما يرغبون ولا يندمجوا مع العمال والمساكين ابدا فيوفروا لانفسهم المدارس التعليمية والمؤسسات الصحية ويتفقوا فيما بينهم على اسس استغلالية للعمال والكادحين ويتركون الطبقة الفقيرة تتخبط في بؤسها وكآبتها وفقرها .

فلا يمكن التعويل على اندفاع الرأسماليين بوحي من ضميرهم ومصالحهم الشخصية لاسعاف المساكين والمحتاجين والمحرومين .

الماركسية والفقراء

عرض مقتضب عن الخطوط الرئيسية التي تنتهجها الماركسية لمقاومة البؤس والفقر في المجتمع • وقد حاولنا ابراز ملامح الماركسية كمنهج ونظام من دون ملاحظة سلوك الماركسيين في المجتمع المخالف لمنطلقاتهم والمنحرف عن نظرياتهم الماركسية فان مدلول النظام الماركسي شيء وممارسة الماركسيين في المجتمع شيء آخر •

الماركسية والفقراء :ــ

ان الماركسية التي اشتهرت في القرنين الاخيرين تعــم الشيوعية والاشتراكية العلمية التي ندب اليها اقطاب الكتل الشرقية في رقعة كبيرة من الارض .

وقد نادى باديء الامر كــل من مــاركس ولينــين الى الشيوعية في النظام الاجتماعي والاقتصادي وتغيير حقيقة الفرد على ضوء معطيات المفاهيم الجدلية وسبك الانسان في صياغة جديدة وانصهاره في بوتقة الجماعة ، ينسلخ بها عن الانانية والفردية والذاتية وخلقه من جديــد ، عضوا اجتماعيا متخليا عن غرائزه وشهواته واندفاعاته الشخصية.

وترمي الماركسية ــ حسب زعمها ــ من وراء خطتهــا هذه الى اسعاف الطبقة الكادحة البائسة وسحق الطبقــة الرأسمالية الثرية المستأثرة وانشاء مجتمع يسوده العــدل والمساواة في الحياة الاقتصادية ، اذ لا يسمح لفرد ان يهيمن على مال او ثراء لا يتوفر لدى جميع المواطنين.

وقد شيد الماركسيون نظامهم هذا على فلسفة ماديــة ملحدة تكفر بكل القيم والتراث والتاريخ والدين ، وتؤمن ايمانا مطلقا بالمادة وان الحياة الانسانية ما هي الا نتــاج تقدم الادوات الانتاجية وتطور حقل المصانع والمعامل .

ونحن لا نقصد من هذه العجالة ان نتغلغل في تفاصيل المذهب الماركسي ونحاسب المبادىء الماركسية مبدءا بعد آخر •

كما لا نريد ان نستعرض القواعد الفلسفية التي يقوم عليها هذا المذهب ثم نناقشها وننسفها من الاساس •

وانما حاولت ان اطرح الخطوط الرئيسية الاقتصادية من هذا النظام التي تعالج الفقر والبؤس ، ثم اتبعتها بالملاحظات والمناقشات التي ترد عليها •

الشيوعية والاشتراكية :ـ

لقد اتى ماركس بادىء الامر بنظام شيوعي ذي لون خاص ومعالم جديدة توحي « ان كل شيء لكل الناس » كما سنشرح ذلك بصورة موجزة تنسجم مع حجم هذا الكتاب •

ولكن القياديين الماركسيين قد لمسوا اخفاق النظام الشيوعي وفشله عندما أريد له التنفيذ والتطبيق ، فاسرعوا في ادانة النفوس البشرية ورواسبها التي بقيت من ايام الرأسماليين ووضعوا اللوم على عدم توفر المناخ اللازم لنجاح النظام الشيوعي •

ثم أقروا نظاما اشتراكيا ماركسيا يمهد الطريق امـــام ظروف مؤاتية لممارسة المبادىء الشيوعية في المجتمع •

المبادىء الشيوعية :ــ

وتتلخص المبادىء الاولية للنظام الاقتصادي الشيوعي فيما يلي :ــ

١ ــ التاميم المطلق :

تنطلق الماركسية في معالجتها لمشكلة الحاجة والفاقـــة وللقضاء على البؤس والفقر في المجتمع عن التأميم العــام لكافة المصانع والمعامل ومرافق الحياة الخاصة من الحقــير والخطير والصغير والكبير وكل ما يتصل بشؤون الانسان وابادة مفهوم الاختصاص والتفرد وازالته عن العقـــول والنفوس وجعل كل شيء مشاعا بين جميع الناس •

ان لفظ الشيوعية مشتقة من شاع يشيع مشاعا ومعناها المشاركة التامة في الشيء ، فالارض المشاعة هي القطعـــة التي يتشارك فيها اثنان او اكثر ــ اذا كانت مسجلـــة في دوائر العقار باسم اثنين او جماعة ــ في كافة حبات التراب من تلك القطعة من دون ان يختص احد بجبهة دون اخرى أو جزء دون غيره ••

وترى الماركسية الشيوعية ان البيت الذي يأوي اليه الانسان والثياب التي يغطي بها جسده والمواد الغذائية التي ينتجها يجب ان يكون مشاعا حتى ان الزواج يحتوي على اختصاص الذكر بالانثى والانثى بالذكر فقررت الشيوعية تمييع هذه العقدة واباحة اتصال المرأة جنسيا بأي رجل تتوق اليه وارتباط الرجل بأي امرأة يهويها من دون اي غضاضة او قبح لان الماركسية ترى في هذا الزواج التقليدي مظهر الاختصاص ، وهو من نتائج الاعتراف بالملكية الخاصة بينما الشيوعية تقاوم الملكية وتكافح في سبيل ابادتها والقضاء عليها •

ورسمت خططا لتربية الاطفال في المجتمع الشيوعي حيث تستقبل دور توليد الاطفال وتسلمهم الى مؤسسات الحضانة والتربية وهكذا يتدرج الوليد من بيئة الى اخرى حتى يشب عن الطوق ويلتحق بالمصير المحتوم الذي يقرره الحزب الشيوعي•

ان المجتمع الشيوعي كما اراده ماركس يشبه تماما المؤسسات الصحية التي تشيدها الدولة في المدن والقرى او المؤسسات العسكرية وثكنات الجنود حيث ان المريض يدخل المستشفى ويستفيد من الادوية والسرير والكرسي والطعام والتهوية والتدفئة و ••• مما يحتاج اليه المريض

في المستشفى من دون ان يكون ملكا له او متفردا بـه • وكذلك الجندي يدخل الثكنة ويعيش فيها مدة طويلـة ويستفيد من الملابس والغرف والاسلحة ولا يختص احـد بشيء من ذلك ابدا وتكون الاثاث والمنتفعات ووسائـل العيش في المصح والقواعد العسكرية مشاعة ومشتركـة بين الجميع •

والشيوعية تريد ان تبني مجتمعا لا وجود فيه للملكية والاختصاص لشيء ابدا وانما يعيش الكل في اطـار النظام الشيوعي فيأكلون ويشربون ويلبسون وينامون ويعملـون وينكحون بصورة جماعية مشاعة منطلقـا من مبدأ التأميم لكل شيء في الحياة ، والقضاء على مفهوم الملكية نهائيا • وتستمد الماركسية هذا المبدأ الشيوعي من افتراض ان المجتمع سيرقى عبر النظام الاشتراكي وتـأميم وسـائل الانتاج الى درجة عالية من الثروة وترفيه تـام على الشعـب فـلا حاجة الى الملكية الخاصة ولا موقع للتفرد والاختصـاص في هذا المجتمع الشيوعي • فاذا انتجت المعامل والمصانـع السيارات او البرادات او الافران او الاقمشة او الاحذية او ••• بكمية يحتاج اليها الشعب ووزع عليهم جميعـا، لم يبق هوى للاختصاص ولا توق الى الاحتكار والملكية•

ان الهواء مشاع ولا اختصاص لاحد فيـه ، وان مـاء

البحر مشاع وفي متناول يد الجميع وان التراب مشاع فلا يمنع أحد الآخر عندما يريد ان يستفيد منـــه فلا يحصـــل تخـــاصم بـــين الناس على هـــذه الاشيـــاء من جهة انهـــا متوفرة ومبتذلة ، وتفيض على حاجة الانسان • فلا اندفاع للتملك والتفرد ولا رغبة في الاختصاص ابدا •

هكذا تزعم الماركسية الشيوعية وتشيد على هذا الزعم مبدأها القائل بالتأميم المطلق ومحو الملكية الخاصة لكـــل شيء في الحياة •

نقد التاميم للملكية :ـــ ا

وحينما يمعن الانسان في هذا المبدأ او منطلقه الفلسفي يدرك بانه ضرب من الخيال وتحليق فيعالم الاحلام واسلوب لتخدير الشعوب والطبقة الفقيرة حتى يندفع وراءهم ويحمل الشعار ويبذل الجهد في سبيل تحقيق مآرب الماركسيـــين السياسية •

متى تكون المواد الاولية للصناعة والزراعة متوافرة مثل توفر الماء والهواء حتى يحلم الانسان بوضع وسائل انتـــاج كل شيء من السيارة والدراجة ومرافق الحياة واثاثالبيت والاقمشة تحت تصرف الانسان ، وتمكنه من استهـــلاكه متى شـــاء ؟

ومتى يستطيع الانسان ان يشبع حاجته ومتطلباته كافة من دون منافسة او منازعة ؟

ومتى يتمكن الشيوعيون من تجريد الانسان وسلخه من ذاتياته وطبيعته وفطرته ؟

لقد زعم اقطاب الشيوعيين بان تغيير الانسان فكريا وعاطفيا ميسور وهين وحسبوا بانه يتحول على ضوء تحول وسائل الانتاج وتطوره وزعموا بانه ينسلخ ويتجرد من غرائزه وذاتياته اذا مهد لمثل هذا الانسلاخ . ولكنهم أخطأوا في ذلك فان حب الانسان لنفسه ذاتي وفطري ولا يمكن التساوم عليه ابدا كما لا يمكن انتزاعه منه فان ذاتي الشيء لا يتغير ولا يتبدل .

نعم قد يفلح الانسان في ان يقهر خجله ويغدو جريئا وقد يتمكن من التغلب على جبنه وفزعه فيصبح شجاعا وقد يستطيع ان يزيل عن نفسه الحنان والشفقة فينقلب الى وحش كاسر و ... كل ذلك ممكن بالترويض والممارسة لانها سمات عرضية طارئة ومكتسبة تزول بزوال المنشأ والمصدر .

ولكن يستحيل ان تزول الذات وتتبدل الى ذات اخرى فان حنان الام تجاه وليدها فطري وانجذاب الشاب اليافع نحو جمال الفتاة غريزي واحساس الجائع بألم الجوع ينبع من الطبيعة والفطرة ولا يمكن انسلاخ الام من عاطفة الامومة والفتى من الغريزة الجنسية والجائع من الاحساس بالجوع و... مهما طالت فترة الترويض ومهما تنوعت الاساليب على التمرين وكذلك حب الذات غريزة فطرية

طبيعية داخل الانسان والحيوان يندفعان على كافة الاصعدة والميادين نتيجة الغريزة المحركة الفعالة ويستحيل على المرء ان يغير الغرائز التي تنبع من طبيعة الانسان وسجيته •

يقال انه اختلف ذات يوم عالمان ادعى احدهما امكان تغيير الغريزة بعد بذل الجهد في سبيل التحوير والتغيير وانكر الآخر ذلك فتصدى المدعي لتعزيز دعواه الى تربية قطة حتى تترك السطو على الفأر وتترك الملاحقةعند مشاهدته له فاختار قطة هادئة صغيرة وهيأ لها الاكل والشرب في مواعيد ثابتة وروضها على حمل الشمعة والطواف فيالمجلس بين الناس من دون ان يحفل بالاكل والشراب ولما أتقن الحيوان هذه اللعبة وتأكد المدعي بان طبيعة القطة الافتراسية قد ذهبت وزالت عبر هذه التربية الطويلة دعا ذات يوم خصمه الى بيته حتى يشفع رأيه بالعمل ويثبت دعواه بالفعل وأنبأه بالغرض من هذه الدعوة فتوجه العالم المنكر لامكان ازالة النزعات الفطرية من الانسان نحو بيت زميله حاملا معه فأرة فلما استقر المجلس وبسطت المائدة ووضع الطعام عليها استدعى صاحب البيت القطة المؤدبة حاملة بيدها الشمعة فلما دخلت القطة على الحاضرين ترك العالم المنكر الفأرة بين يدي القطةوما أنلمحتها القطة حتى اسقطتالشمعة وهرولت خلف الفأرة وفشل العالم الذي ادعى امكان تغيير طبيعة الافتراس عن الحيوان المفترس •

فمهما كانت القصة حقيقية او خيالية فان الغريزة لا تتبدل والطبيعة لا تتغير وحب الذات من الغرائز الفطرية التي لا يمكن انتزاعها وسلخها من الانسان فكيف يتوخى ماركس ان يغير الفرد من حبه لنفسه الى حبه للمجتمع وتفضيل مصالح الآخرين على مصالحه الشخصية وخاصة بالنسبة الى الانسان المادي الذي لا يعترف بالاله ولا بيوم المكافأة ويرى بان الحياة والتنعم يقتصر على هذه الفترة من العمر التي يعيشها على وجه الارض فعلى اي اساس يضحي بمصالحه في سبيل الآخرين ؟ وبأي دافع يتعالى على منافعه الشخصية ؟

الشيوعية والملكية :ـ

والملكية والتملك من الغرائز البشرية التي يطارد ورائها الانسان ولا يمكن قلعها وابادتها فمهما استعملت القوة الحازمة التي تمسك المجتمع بالنار والحديد ومهما تحدقت العيون لتربيتهم على المنهج الموضوع ومهما حددت اجهزة الاعلام والنشر ومهما عاقبت الدولة الناس على التهمة والظن ومهما امليت الدروس والثقافات الاشتراكية فانه لا يمكن القضاء على هذه الظاهرة التي تتألق في حياة الانسان من التفكير الذاتي والانطلاق من منافعه الشخصية.

ان الطفل الذي لم يدرك شيئا من المفاهيم التجريدية ولا يفهم شيئا عما يجري حوله ، اذا سقطت في يده دمية

أو كرة او العوبة امتلكها ونازع صاحبها وبكى اذا انتزعت اللعبـــة منه •

وهذه ظاهرة تدل على ان الملكية غريزة ذاتية تولد مع الانسان وترافقه في رحلته الدنيوية وتموت عند انتهـــــاء عمره •

اذا أردنا ان ندرس هذا المبدأ ــ التأميم المطلق ــ على ضوء المنطق القائل بان التجربة اكبر برهان ، ومن خـــلال الثورة التي فرضت المبادىء الماركسية الشيوعية بقوة وحزم حيث قامت بنزع الارض من اصحابها وتجريد الفلاحــين من وسائل الانتاج لمحو الملكية الخاصة وابادتها من المجتمع لوجدنا بان الفلاحين قد ثاروا واعلنوا الاضراب عن العمل والانتاج وافضى ذلك الى المجاعة فتراجعت الثورة عن خطتها واستعادت البلاد حالتها الطبيعية حتى عام ١٩٢٧ ــ ١٩٣٠ فعزمت الثورة للمرة الثانية على تحريم الملكية الخاصة وتنفيذ التأميم المطلق فجوبهت ايضا بالرفض والاستنكار من قبل اصحاب الارض الفلاحين ولكن الحكومة قـــد قست على الشعب البائس هذه المرة وقتلت على ما اعترفت به التقارير الشيوعية مائة الف قتيل وبلغت ضحايا المجاعة التي اسفرت عن هذا التأميم عام ١٩٣٢ ستة ملايين نسمة فتراجعت الحكومة ثانية وسمحت للفلاح بالملكية لقطعـة

بسيطة من الارض وكوخ صغير شريطة ان ينضـوي الى جمعية « الكلخوز الزراعية الاشتراكية »٠

قال كريستوفر ميهيو في كتابه ما وراء التعايش ٠٠ ولم تنجح تجربة القفزة العظيمة الى الامام او الكوميانـــات الشعبية وادت محاولة خلق صناعة ثقيلة في سرعة هائلـــة الى تفكك الاقتصاد الطبيعي في البلاد والى عرقلة الاستثمار في الزراعة واصطدمت الكوميونات فورا بمحافظة الفلاحين وافسدت تركيب العلاقات الاجتماعية في الارياف ٠٠٠

واعترفت جريدة « يومية الشعب » في عددها الصـادر في الرابع من كانون الثاني عام ١٩٦٢ بان « المفهوم الجماعي لا ينمو بشكل تلقائي » ٠

وادت النتيجة الى تأخر سريع في اقتصاد الصـــين مما أرغم الحكومة الصينية في عام ١٩٦١ على ابتياع الحنطـة من الخارج ولا سيما من كندا واستراليا لمواجهة النقـص الذي طرأ على انتاجها والذي بلغ عشرين مليونا من الاطنان في عام ١٩٦١ ولم تحل نهاية عام ١٩٦١ حتى كانت صناعات الصين الخفيفة قد شلت وكانت مكاسبها من النقد الاجنبي قد تأثرت كثيرا ٠٠

واخيرا اضطر الاتحاد السوفياتي المضاهي للمجتمـــع

الصيني في النظام الماركسي الى الاعتراف بالملكية الخاصة قانونيا ففي المادة السابعة من الدستور السوفياتي ان لكل عائلة من عوائل المزرعة التعاونية قطعة من الارض خاصة بها وملحقة بمحل السكن ولها في الارض اقتصاد اضافي ومنزل للسكنى وماشية منتجة وطيور وادوات زراعية بسيطة•

وفي المادة التاسعة يتملك الفلاحون الفرديون والحرفيون لمشاريع اقتصادية صغيرة وقيام هذه الملكيات الصغيرة الى جانب النظام الاشتراكي السائد • وكل هذا دليل على ان الملكية الخاصة من مظاهر حب الذات ولا يمكن سلخ الانسان من هذه النزعة الطبيعية •

٢ ـ التوزيع على اساس الحاجة :ـ

يعتبر المبدأ الثاني في النظام الشيوعي هو « من كل حسب طاقته ولكل حسب حاجته » فاذا امتلك الشاب القوي طاقة متدفقة وجب عليه ان يعمل حسب قدرته ويؤمن له خاصته من السكن والاثاث والملابس بمثل ما يؤمن لشاب آخر نحيف لا يستطيع ان يبذل عشر جهد الانسان القوي •

ويدفع للعالم النابغ المكتشف من الاكل والشرب والسكن كما يدفع للعامل البسيط •

لان هذا النظام يريد ان يمحو التفاوت في الحياة حتى لا تحدث الطبقية في المجتمع فيرى المجتمع هو المالك للعمل وليس الفرد هو المالك لمجهوده وهذا التساوي صارم وحازم من قبل النظام الشيوعي على الشعب على السواء من دون فرق بين المهندس والطبيب والمخترع والاستاذ والجاهل والعامل والمريض والضعيف والنشيط والكسلان و .. لان جميعهم من المواطنين ويجب ان يعيشوا في مستوى واحد حتى تجتث بذور الطبقية والاختلاف في مستويات الحياة .

وبتعبير آخر انه لا علاقة في المجتمع الشيوعي بين العامل كفرد وبين العمل بوصفه انتاجا لان الاقتصاد الشيوعي ينظر الى المجتمع بوصفه كائنا كبيرا ينصهر فيه الفرد ويذوب في بوتقته وتكون الكينونة والحق في الوجود للمجتمع هذا العملاق الكبير فلا رابطة بين العامل وبين العمل الذي ينتجه وانما يكون المجتمع هو العامل الحقيقي والمالك الصحيح لنتاج عمل الافراد ولا يحق للافراد الا اشباع حاجاتهم لان موقف العمل يصبح سلبيا تجاه التوزيع فلا يأخذ العمل نصيبه لدى توزيع الانتاج على اساس ما قدم وانتج وانما تقرر الحاجة فقط حظ العمل على النتاج لدى التوزيع .

ان مثل العامل في المجتمع الشيوعي يشبه الاجزاء والقطع التي يتكون منها المعمل والجهاز الميكانيكي حيث ان كل

جزء يستهلك مقدار حاجته من الزيت لاداء وظيفته وعمله من دون فرق بين قطعة واخرى ومن دون فرق بين اختلاف وظائف كل قطعة من الاهمية والتعقيد •

نقد التوزيع على اساس الحاجة :ــ

ان التوزيع على اساس الحاجة يبعث علّى قتل المواهب في الانسان وتجميد كل الطاقات ويحول دون التضحية والعطاء ويحبذ الاحجام عن النهوض باعباء الحياة ويحول المجتمع الى مجموعة أفراد كسالى لا يبدعون ولا يخترعون ولا يحققون ولا يندفعون نحو العمل والنشاط فتموت العقول الكبيرة ويقف التحرك نحو التقدم والتطور ويمنى الانسان بالدمار ، اذ ان الذكي لماذا يخترع ؟ وان القوي لماذا ينشط ؟ وان الطالب لماذا يدرس كثيرا ؟ وان الفرد لماذا يكدح ويجد ؟ ولماذا هذا التحرك والعمل طالما العيش هو العيش والحياة نفس الحياة ؟ فانه اذا ما جد في دراسته واخترع في الطب او الهندسة او ••• وكانت حياته مثل حياة العامل البسيط الامي الجاهل لما اندفع الى العمل ولما بذل الجهد في مجال التحقيق العلّمي ، اذ لماذا يشتري راحة الآخرين بعرقه ودموعه ؟ وعصارة حياته وطاقاته ؟ ولاسيما انه لا يؤمن بالجزاء والمكافآة الاخروية حتى يستعيض عن اتعابه وجهوده براحة خالدة بعد الموت •

٣ ـ الخطة الاقتصادية الشيوعية :ـ

لا يسمح النظام الشيوعي بالانتاج حسب امكانيات المعامل والمواد الاولية بل لابد من دراسة ظروف المجتمع ودرجة الحاجة ويكون الانتاج على اساس الطلب والاستهلاك حتى لا يفيض المنتوج على كمية الحاجة او يقل عنها فتهب على السلع رياح العرض والطلب والاحتكار او الابتذال.

فمن هذا المنطلق يضع الحزب منهاجا اقتصاديا لتفادي التشنجات الاقتصادية التي يمكن ان تمنى بها البضائع والاسواق .

نقد الخطة الاقتصادية الشيوعية :ـ

اثبتت التجارب والممارسات بان الجهد الفردي في تنويع البضاعة وتحديد كميتها وانتاجها واستهلاكها في الاسواق المحلية او العالمية افضل من وضع الدولة يدها عليها والتخطيط لها والبرمجة لاخراجها وتصديرها.

يقول الاشتراكي شارل بتلهايم الذي عايش الثورة الكوبية وهو بصدد عرض نتائج جهود كوبا الاقتصادية « اما نتائج هذا النهج الذي اختطته الثورة الكوبية فانها اليوم اكثر وضوحا من اي وقت فبرغم الجهود التي بذلها الشعب الكوبي ومن سنوات العمل المصمم والاستثمارات

الضخمة منيت البلاد بفشل حصاد السكر عام ١٩٧٠ وهو الذي كان قد حدد بوضعه الهدف الاول للثورة ويرافق ذلك وضع اقتصادي متزايد التراجع وصعوبات يومية على صعيد التموين كما يتزايد انحياز السياسة الخارجية الكوبية للسياسة السوفياتية » ويمضي قائلا « ازاء هذه الحالة يتساءل الشعب الكوبي كيف وصل الامر الى هذا الحد ؟ كيف حدث ان فشلت كل تلك السنوات من جهود جبارة في اعطاء ثمارها وتبخرت الوعود الكثيرة التي لم يكن ثمة تمسك بها ؟ ».

والصين هي الدولة الثانية التي اعتنقت الماركسية وتعد متحمسة اكثر لمبادىء الشيوعية من الاتحاد السوفياتي ولكنها اخفقت في مجال الصناعة ففي كتاب تجربة الشيوعيين في الصين :

« ان الصين بالرغم من انها تعتبر الدولة العظمى الاولى من حيث عدد السكان بالنسبة لدول العالم كله فانها تعتبر بدون شك بلدا متخلفا فأرقام انتاجها الصناعي لا تزال منخفضة بل واقل من انتاج بريطانيا التي تبلغ عدد سكانها واحد الى ١٢ من سكان الصين وتتزايد نسبة هذا الانخفاض اكثر فأكثر بالنسبة للولايات المتحدة او الاتحاد السوفياتي اذا قورن بالنسبة لعدد السكان » .

٤ ـ الدولة الذاتية :ـ

ترفض الشيوعية الاعتراف بوجود هيئة ذات هيبة وقدرة تشرف على البلاد والعباد فتوظف اناسا مختصين بشؤون الامن وتنفيذ القوانين ومعاقبة المتمردين والمخالفين بل انها تلتمس تغيير عقلية الناس وتربيتهم على مستوى لا يفكرون الا في المصالح الجماعية ولا يبتغون الا ما يجدي الجميع. وتزعم بان مثل هذه العقول الناضجة في ظل النظام الشيوعي تدير نفسها بنفسها ولا تحتاج الى رقابة او مؤسسة حكومية تحصي اعمال الناس وافعالهم .

ويقوم هذا المبدأ على اساس ان الحكومة لدى المادية التاريخية التي تعتنقها الماركسية ما هي الا وليدة الصراع الطبقي ومظهرا من التناقض في داخل المجتمع الرأسمالي حيث ان الطبقة الثرية تضطر الى خلق حكومة تخضع الطبقة الفقيرة العاملة فاذا استبدل المجتمع الطبقي بمجتمع لا طبقي يعيش افراده في مستوى واحد لما بقت حاجة الى مثل هذه الحكومة النظامية .

نقد الدولة الذاتية :ـ

متى يمكن ان يبلغ الانسان مستوى الملائكة فيتجرد عن رغباته وعواطفه وانفعالاته ويترك الاعتداء على حقوق الآخرين ؟

والتاريخ لم يشهد يوما بان مجتمعا عاش من دون جهاز يقوده ويوجهه فالقبائل والعشائر التي تعيش في مناطق نائية تتفق على رئيس يأمر وينهي وترفع اليه الشكاوى والدعاوى وهو ينتقم ويثيب في نطاق قبيلته بالرغم من ان العشيرة تنحدر من أب واحد ٠

وكذلك البدو الرحل الذين يتألفون من عوائل صغيرة مترابطة رحميا تحل مشاكلها واختلافاتها على يد شخص واحد او مجموعة من كبار القوم ويقررون الاجراءات التي تتخذ بحق المعتدي ٠

فالانسان يحمل بين جنبيه بذور الغضب ونواة الشهوة فيتذمر من كل شيء ينفره ويسخطه ، ويرغب في كل شيء يهواه ويحبه وقد تصطدم الشهوات المنبعثة من الافراد بعضهم مع الآخر فيتنافسون ويتصارعون حتى وان كانوا اخوة من أب واحد وأم واحدة ٠

فتجريد الفرد عن ميوله وانفعالاته وتقديم مصالح الآخرين على منافعه الشخصية والاستغناء عن المؤسسة التي تحافظ على الشعب نتيجة تفكير كل واحد منهم في مصلحةالشعب وعدم حصول المنازعة فيما بينهم حلم لا يطبق في عالم الرؤيا فكيف بعالم الحقيقة والواقع ٠

ثم تتساءل كيف تنتهي الدولة الاشتراكية للبلوغ الى الدولة الذاتية الشيوعية ؟

فان رسموا لهذا الانقلاب والانتفاضة ضد النظام الاشتراكي نهجا ثوريا يتم على أيدي ثوار تنبثق من احشاء المجتمع الاشتراكي كما هو القرار الديالكتيكي من ان الثورات تندلع من داخل المجتمع وباطنه وصميمه فيا ترى من يكون هؤلاء الثوار الجبارون الذين تآزروا وتكاتفوا ضد الحكم السائد الاشتراكي الماركسي ؟ فان كانوا الرأسماليين المناوئين للاشتراكيين فهذا معناه ان مآل الدولة الى الرأسمالية لا الى الشيوعية . وان كانوا عمالا شيوعيين يمثلون الطبقة الكادحة فلاعداء ولا اصطدام بين الاشتراكيين والشيوعيين ، لان المفروض ان الاشتراكية تمهيد وتذليل للعوائق والعقبات امام قيام المجتمع الشيوعي فكيف يتم ذلك عبر ثورة قاضية تطيح بكل المبادىء والمؤسسات القائمة ؟

وان ارتأوا بان هذا الانقلاب يتحقق بصورة هادئة تدريجية من دون قفزة ولا هتاف ولا اضطراب فهذا يتباين مع قوانين الديالكتيك التي تعتبر منطلقا رئيسيا لدى الماركسيين .

ويضاف الى ذلك انه كيف يتنازل الحكام الاشتراكيون

عن مناصبهم ويـتركون الحكـــم للشعب وتنتهي سلطة الاشتراكية بنفسها في حين انها قد مسكت السلطة بـالنار والحديد ؟

هذه هي المبادىء الاولية الشيوعية التي طرحها ماركس لمقاومة الفقر واسعاف المساكين وقد فندنا بايجاز كل واحد من تلك الخطوات العريضة فلا يمكن الاعتماد على هـــذا النظام الذي لا ينسجم مع الفطرة البشرية ولا يسوغ زج الطبقة الساحقة البائسة في اتون نظام فاشل مهزوز • وقد شعرت الماركسية بالعراقيل الموجودة امام النظام الشيوعي فاقترحت خطة اخرى اشتراكية تلتقي مـــع الشيوعية في الاسس وتختلف عنها في بعض المبادىء التي تعتبر مرحلية مرتبطة بتهيئة الانسان لتقبل الحياة الشيوعية وازالـــة العقبات والعراقيل التي يواجهها المجتمع عندما يقفز مـــن المجتمع الرأسمالي الى النظام الشيوعي مرة واحدة • فلنختبر المبادىء الاشتراكية بعد دراستنا للمبادىء الشيوعية •

المبادىء الاشتراكية :ـ

وتتلخص المبادىء الاشتراكية في الامور التاليـــة :ـ

١ ـ تاميم وسائل الانتاج :ـ

بادرت الماركسية الى منح الافراد الحق في الاختصاص

والتملك في اطار الممتلكات الشخصية من البيت والملابس والطعام و ... ما يمت الى حياة الانسان الخاصة ، وأممت وسائل الانتاج التي تصنع السلع والبضائع وسمحت للافراد بتملك الاعمال والحرف الصغيرة .

وتبتنى هذه الفكرة على ان الصراع المزعوم الناشب من جراء القيمة الفائضة بين الطبقة العاملة وارباب العمل افضت الى تأميم المعامل والمصانع وكافة الوسائل المنتجة الضخمة . ولولا هذا التناقض المحتوم لما انتهى المجتمع الى مثل هذا التأميم .

ويتوخى من وراء التأميم التدرج نحو ازالة الملكية الخاصة وتتويج كافة افراد الشعب بملكية وسائل الانتاج في البلاد وتعميم الملكية على الجميع .

نقد تاميم وسائل الانتاج :ـ

ان تأميم وسائل الانتاج قد دفع عجلة الانتاج الى الامام لفترة محدودة بدء الامر فارتفع المستوى الاقتصادي وزاد الانتاج في البلاد ولكن النكسة والجمود والتخلف الصناعي قد خيم على البلاد الاشتراكية الفتية .

ويعزز هذا التأخر لدى فرض التأميم بفترة قصيرة ما حدث في الصين من التراجع عن تأميم الاراضي الخصبة

الزراعية ففي كتاب تجربة الشيوعية في الصين ص٢٤٠ — ٢٤٢ « واليوم وبعد تلك التجربة الاليمة لم يبق من القرى الجماعية سوى اسمها وتخلت الصين عن فكرة زراعةالحقول على نطاق واسع على ايدي جماهير كبيرة من الرجالوالنساء والاطفال تعمل كجماعات عمالية اخرى تحت قيادة مركزية وتنتقل من منطقة الى اخرى حسبما يتراءى لرؤساء الحزب المحليين وقد خسرت القرى الجماعية ملكيـــة ما يسميه الشيوعيون باسم الاشياء الاربعة التالية وهي الايـــدي العاملة والارض والدواب والادوات الزراعية • وبـدلا من ذلك فقد تقرر ان تنظم كل قرية في ريف الصين على صورة « فرقة انتاجية صغيرة » تقوم بنفسها بتنظيم عملها وتدبير شؤون ادواتها ودوابها وتحصـــل بالفعل على نصيب كبـير من محصول زراعتها •

وقد تبين لهم ان قرى الفلاحين قد انهكت بعد ان امضوا سنتين كاملتين في اعمال جماعية وضاقوا ذرعا بالاخطاء التي وقع فيها المسؤولون المحليون في الحزب ولم يكن هنـــاك أي حافز على العمل في الاراضي نظرا لان ينقلوا للقيـام باعمال طارئة في جهات اخرى وبدون اجر فعمد الفلاحون الى ان يتركوا ادواتهم الزراعية لتصدأ بتعرضها للمطـر او الاهمال في استعمالها مما يؤدي الى تحطيمها ••• »•

وهكذا فيعالم الصناعة والتكنيك منيت البلاد الاشتراكية بالخسارة والتأخر لان الفرد في ظل الاضطهاد والكبت وظل الاستثمار والاستغلال لا تتفتق مواهبه ولا تتحرك الهمم الشخصية نحو الاكتشاف والابداع والتطوير فاذا قارنا بين السلعة المنتجة من الدول الحرة الديموقراطية وبين نفس السلعة المصنوعة في الدولة الاشتراكية للمسنا البون الشاسع بين الصناعتين في الجودة والاتقان والروعة .

كما ان هناك الفروق الكبيرة في كمية الانتاج ونوعيته بين الدول الاشتراكية والدول الديموقراطية الحرة .

وهذه شواهد ودلائل تؤكد على ان اعطاء الحرية لتملك وسائل الانتاج يفسح المجال امام التقدم العلمي والصناعي ما لا يمكن تحقيقه في المجتمعات الاشتراكية التي تفرض الرقابة والحد على الانتاج والتصدير .

ويضاف الى ان هذا التأميم وان اقتطع وسائل الانتاج من ايادي محدودة معينة ولكنه قد استبدلها بايد ثانية تتمثل في الهيئة الحاكمة التي تتمتع بواقع الملكية فتكون لها السلطة التامة على الشراء والاموال والممتلكات .

ان الجهاز الحاكم في الدول الاشتراكية وان لم يتمكن من الاعلان عن تملكه على اساس الملكية الخاصة وحماية القانون عن مثل هذا التفرد والاختصاص بالاموال المكتسبة

من جهود العمال والفلاحين لان مثل هذا الاعلان يتنافى مع طبيعة موقفه السياسي المدافع عن حقوق الشعب الكادح ولكنه يتمتع بالامكانيات الواسعة والسلطة التامة على الثروات بمثل ما يتمتع به المالك الاصيل .

والذي يتابع حياة قادة الكرملين في الاتحاد السوفياتي في الجرائد والاذاعات يلمس بانهم يعيشون في ترف ورخاء ونعومة تشبه حياة الارستقراطيين الرأسماليين.

٢ ـ التوزيع والعمل :ـ

ذهبت الماركسية الاشتراكية الى ان التوزيع يتم على أساس العمل والجهد المبذول فقررت المبدأ القائل «من كل حسب طاقته ولكل حسب عمله » وذلك ان العمل اساس القيمة وان العمل البشري الذي ينفقه العامل هو الذي يخلق القيمة التبادلية للمادة وعليه يجب ان يكون توزيع القيم المنتجة في مختلف فروع الثروة على اساس العمل فمن حق كل عامل ان يحصل على ما خلق من قيمة في السلعة المنتجة .

نقد التوزيع على اساس العمل :ـ

ان هذا المبدأ الذي يؤمن به الاقتصاد الاشتراكي

الرأسمالي يتناقـــض مع ما تندب اليه وتقرره المرحـلة الاشتراكية من اللاطبقية في المجتمع ، اذ ان الافراديختلفون في الاعمال حسب تنوع الكفاءات الفردية واختلاف الاعمال وبساطتها او تعقيد العمل الذي يزاوله الانسان • ففرد يعمل اكثر من سبع ساعات وآخر ينفق الجهد خمس ساعات وثالث يبتكر ويبدع ورابع عامل ساذج وخامس فني مدرب و••• وهكذا من الاختلاف في كمية العمل المبذولة وعلى اســاسها تختلف الاجور والرواتب وقد اعلمتنا الاحصائيات في روسيا بان النسبة بين الدخل المنخفض والدخل الراقي تتراوح بين ٥٪ و٥ر١٪ لان القادة الاشتراكيين قد عرفوا استحالـة تنفيذ المساواة المطلقة بين افراد الشعب الواحد لان ذلـك يوجـب تعطيل الحياة الفنية والعقلية وتجميــــد الطاقات والمواهب ويدفع الناس نحو اتفه الاعمال ما دام الاجر هو الاجر مهما تعقد العمل •

وتحدث بهذه الفوارق في الاجور حسب اختلاف الاعمال طبقية في المجتمع الاشتراكي في حين ان الماركسية الاشتراكية تتنبأ بالقضاء على الطبقية نهائيا في ظل النظام الاشتراكــي الماركسي•

« فالطبقات لا تزال موجودة فالى جانب طبقة العمــال والفلاحين هناك طبقة اخرى تعيش تقريبا على هامش قوانين

البلد طبقة اغنى من غيرها وذات متطلبات اكثر مؤلفة من القادة السياسيين والعسكريين والعلماء والادباء والشعراء والصحفيين لهؤلاء مخازنهم ونواديهم ومطالبهم واماكن سكنهم الخاصة وهم موضع اهتمام الجميع في الداخل والخارج ».

ويضاف الى ذلك ان الطبقة العاجزة العاطلة عن العمل لا تجد مبررا علميا في المجتمع الماركسي الاشتراكي للحصول على استيفاء حاجتها المعيشية لاجل ان المجتمع الاشتراكي قد ربط بين العمل والاجرة فمن لا يعمل لا يأكل ولا تجد الماركسية خطة علمية تنسجم مع مبادئها الديالكتيكية للانفاق على هذه الفئة المسكينة المحرومة العاجزة فيكون موقف الاشتراكيين الماركسيين محرجا علميا امام هؤلاء العاطلين المتعبين بالامراض والشيخوخة .

٣ ـ الديكتاتورية العمالية :ـ

تقوم الثورة الاشتراكية على ايدي ثائرين حرفيين متحمسين لا يتوانون لحظة عن تنفيذ مآربهم الحزبية ولا يتسامحون مع المتمردين الرأسماليين ابدا وتكون القيادة في ايدي ثوريين حزبيين لهم خصائص فكرية وثورية وحزبية خاصة ويجب ان تتسلم هذه الفئة المهيمنة الحزبية السلطة بشكل مطلق لطبيعة المرحلة الاشتراكية في رأي الماركسية القائل

بضرورة قيام دكتاتورية وسلطة مركزية مطلقة لتصفيـــــة حسابات الرأسمالية نهائيا والقضاء على كل معالم الرأسمالية الروحية والفكرية والاجتماعية من جهة ولوضع تخطيط اقتصادي موجه لكل شعب في الحياة من جهة اخرى اذ ان مثل هذا التخطيط يتطلب سلطة ديكتاتورية مطلقــة حتى يتمكن من فرض المنهاج الاقتصادي على الشعب •

نقد الديكتاتورية العمالية :ــ

ان هذه الدكتاتورية البروليتارية تفرض تكوين طبقيــة جديدة مأساوية في المجتمع الاشتراكي قد نشـــأت على الصعيد السياسي ضمن الحزب الثوري القائم على اســس فكرية خاصة ، فلسفية وعقائدية ولها جميع خصائص الطبقية من السيطرة على جميع الممتلكات ووسائل الانتاج المؤممة في البلاد من جانب والمركز السياسي المرموق الذي يوفر له التحرك والعمل والتصرف حسب المصالح الخاصة مــن جانب اخر •

بالاضافة الى اضفاء لون من الاحترام والتقديس على هذه الطبقة اذ انها تشيع في المجتمــع بأنها تكفل وتضمن السعادة والرخاء لجميع الناس فيستحقون التقديس والثناء•

في حين ان المجتمع الاشتراكي يحارب الطبقية والتفاوت

في مستوى العيش لدى الشعب الواحد .

ولا يقتصر الامر على تفوق فئة قليلة على قطاع كبير من الشعب ونشوء الطبقية في المجتمع الذي ينشأ على اساس محو الطبقية وازالة الفوارق في المجتمع بل ينشب الصراع والتشاجر بين هذه الفئة الممتازة الحاكمة بحزم وقوة وبين حزبيين لم يحظوا بمقاعد رفيعة في اطار الحكم واشخاص آخرين من خارج اطار الحزب، وتحتدم المعركة وينتهي الى حدوث عمليات تطهير وتنحية من قبل العناصر الاقوى في الحزب ، للعناصر الضعيفة المنافسة ، ففي عام ١٩٣٦ ازاحوا تسعة وزراء من اعضاء الوزارة الاحد عشر وخمسة رؤساء من الرؤساء السبعة للجنة السوفيات التنفيذية المركزية التي وضعت دستور ١٩٣٦ وثلاثة واربعين من امناء سر منظمة الحزب المركزية البالغ عددهم ثلاثة وخمسين امينا وسبعين عضوا من اعضاء مجلس الحزب الثمانين وثلاثة من مارشالات الجيش السوفياتي الخمسة و٦٠٪ من مجموع جنرالات السوفيات وجميع اعضاء المكتب السياسي الاول الذي أنشأه لينين بعد الثورة وطرد ما يزيد على مليونين من اعضاء الحزب . وكان عام ١٩٣٩ عدد اعضاء الحزب الرسمي مليونين ونصف مليون عضو وعددالمطرودين مليوني عضو .

ويزاد على هذا النقد ما نراه من التلاعب بعواطف الناس ومشاعر الطبقة العمالية الواسعة للوصول الى اغراضهم الصحيحة من دون ان ينفذوا شيئا من الشعارات واللافتات المرفوعة حيث يقولون ان النظام الاشتراكي والهيئة الحاكمة في المرحلة الاشتراكية ستكون بايدي العمال والجماهير والطبقة الكادحة في حين ان محتوى جهاز الحاكم يتألف من غير العمال والفلاحين. فقد ورد في تقرير بريجنيف « امام مؤتمر الحزب الشيوعي الرابع والعشرين » ما يلي :ــ

« بينما يمثل العمال بنسبة ٤٠ر١٪ من اعضاء الحزب يمثل الموظفون ٤٤ر٨٪ ولا يمثل الفلاحون اكثر من نسبة ١٦٪ هذا مع العلم ان الطبقة العاملة السوفياتية تشكل ٥٥٪ من مجموع السكان بينما لا يشكل الموظفون اكثر من نسبة ٥٪ الى ٦٪ هذا على صعيد القاعدة فقط اما اذا تدرجنا في تتبع هذه النسبة مع تدرج القيادات وصولا الى اللجنة المركزية فاننا سنكشف ما يذهل حقا .. في اللجنة المركزية مثلا وعددها الآن ١٨٩ عضوا اصيلا ، ان ٨٢ من هؤلاء هم من موظفي الحزب و٦٣من الوزراء وممثلي الادارة و١٢ سفيرا و١٢ عسكريا و٦ علماء و٥ مديري مصانع وكاتبتين وممثلين عن الصحافة ومهندس واحد وعضو كومسومول وممثل عن القضاء واخيرا فلاحا واحدا

وعاملين» (١)٠

ويبدو من هذا التقرير بان شعار الديكتاتورية العمالية التغطية والتمويه على الشعب الساحق الكبير بينما لا تجد تمثيلا لها الا فردا او فردين ٠

هذه هي المبادىء الاشتراكية الرئيسية التي تطرحهـــا الماركسية على المجتمعات الاشتراكية وتعد المنطلق الرئيسي لكل الانظمة الاشتراكية وقد فندنا كل واحد منها بصورة لا يبقى فيها غموض ولا عليها ضباب ٠

انحراف الاشتراكية :ـ

تقرأ من قديم الزمان كلمة مأثورة تقول « الحقيقـــة لا تكتم » وكلمة اخرى تقول « الحق يعلو ولا يعلى عليه» فمهما جنت الظروف السياسية على الحقيقة فهي أعجز من اخفائها وكتمانها الى الابد ٠

ان الماركسية الاشتراكية قد فرضت على الشعب تنفيذ مبادئها وتعاليمها ولكن فطرة الانسان وطبيعة مجتمعـــه ونزعات الفرد الاصلية قد لفظتها شيئا فشيئا وبدأت بارغام

---

(١) مجلة الدستور العدد ٢٦ ـ ١٢ نيسان ١٩٧١ ٠

القادة على التنازل عن الاشتراكية .

وانني لا اريد ان اقول بان الرأسمالية خير من الاشتراكية حتى يفسر التحوير عن الاشتراكية باتجاه الرأسمالية ضرب من السلوك الفطري الصحيح المنبعث من داخل الانسان وصميمه ، وانما أهدف الى القول بان فشل الاشتراكية في المجتمع البشري قد بدأ بالظهور فاضطر القادة بالرغم من تحمسهم واخلاصهم لمبادىء ماركس الى المسامحة والتساهل في تطبيق الاشتراكية والتحرك نحو الرأسمالية الغربية .

ان الخطوات الاخيرة التي يخطوها الاتحاد السوفياتي في حقل الاقتصاد والزراعة وتخفيف الضغط والاضطهاد عن كاهل الشعب وافساح المجال امام الافراد في الزراعة والتجارة واستيراد البضائع من الخارج والتعاقد مع الشركات الامريكية في استخراج البترول والغاز والمعادن ومساهمة الدولة الروسية في بناء المصانع والعمران خارج البلاد وفتح البنوك على اساس الربا و... كل ذلك تغيير في الخطط الاشتراكية وانحراف عن المبادىء الماركسية .

وهذا الانحراف ينبىء عن خطأ في هذه المبادىء الاشتراكية التي كانوا يزعمون بانها تنشىء الجنة الموعودة على وجه الارض وتبيد الحرمان والفقر من المجتمع .

الحرية والماركسية :ـ

ان المجتمعات الماركسية الشيوعية او الاشتراكية لا تعهد الحرية التي هي تعبير اصيل عن كرامة الانسان ونزعة أصيلة في قراره وضميره وحق مشروع لـه في الحياة •

يختلف الانسان عن كل ما يجري حوله من الحيوانات العجماوات والاشجار والجبال والبحار و••• لانه يمتلك الحرية الطبيعية باوسع معانيها ومداليلها فيتصرف في جميع الحقول بملء ارادته حتى اللحظات التي ينجرف فيها مع الشهوات والميول •

وعلى اثر هذه الحرية الطبيعية يميل ذاتيا الى الحرية الاجتماعية في الاطار الاجتماعي الذي يعيش ضمنه في سلوكه وعلاقاته مع الآخرين •

ومثل هذه الحرية الاجتماعية غير متوفرة في ظل المجتمع الماركسي، والانفصام في شخصية المرء بين حريته الطبيعية وحريته الاجتماعية يبعث على نكسة للانسان لا يستعاض عنها بشيء أبدا •

يقول[1] وليد شميط في « الاسبوع العربي » عدد ٦٣٨ ـ ٣٠آب ١٩٧١ « الصحفي القادم من بلاد يمكنه ان يعرف فيها تقريبا كل شيء عن كل شيء وهو جالس في مكتبه

يجد نفسه هنـــا في وضع لا يحسد عليه ..اذا أردت ان تعرف فلن تعرف الا القليل او ما يراد لك ان تعرفه حـتى لو أمضيت عاما بكامله تبحث عن اشياء وامور يهمك ان تعرفها من يحكي لا يعرف ومن يعرف لا يحكي انها بـــلاد الاسرار الغامضة بلاد الصمت المطبق المستمر اللانهاية له ».

ولا قيمة للحياة المكبوتة الخانقة التي لا يستطيع الفرد ان يعرب عن رأيه وما يجول بباله .

المادية التاريخية والفلسفة الماركسية :ـ

انطلق ماركس في مبادئه الاشتراكية او الشيوعية لتنظيم المجتمع وادارة الانسان وتنسيق الحياة الاقتصاديةوالزراعية من فلسفة خاصة ونظرة معينة تجاه التاريخ . حيـث يرى القوانين المادية التاريخية هي التي تصنع التاريخ وتوجـه الانسان وتملي عليه مراحل التاريخ . وانهـــا الاســس التحليلية في الاقتصاد الماركسي والقواعد الرئيسية التـي تنهض عليها المبادىء الماركسية .

وقد كتب المؤلفون والمحققون الكثير حول زيف وبطلان هذا المنطق واثبتوا بان الواقع التاريخي للانسانية لا يسير في موكب المادية التاريخية وانه معلول لعوامل عديدة قد يكون من ضمنها العامل الاقتصادي ووسائل الانتاج.

ويضاف الى ذلك اننا اذا افترضنا ان الماركسية قـــد اصابت في نظرتها الى التاريخ البشري وافترضنا بان المادية التاريخية ودراستها التحليلية للاقتصاد الرأسمالي صحيحة وصائبة لانتهينا الى القضاء على الرأسمالية ودحر اربـاب العمل المستغلين ولا يلزم ذلك الى حلول الاشـــتراكية الماركسية محل الرأسمالية في المجرى التاريخي المتطور ، بل يمكن ان يظهر على الصعيد الاجتماعي نـــوع آخر من الاشتراكية او لون آخر من الاقتصاد .

وبعد هذا العرض للمبادىء الماركسية بمرحلتيها مـن الاشتراكية والشيوعية وظهور عدم صلاحيتها ومتانتهــا لا يمكن التعويل عليها للقضاء على الفقر والبؤس وتفويض أمر المحتاجين والمحرومين في ايدي هذه الخطط المتهرئـة لان النظام الماركسي يسير في المجتمع معاكسا لما تستدعيـه فطرة الانسان وطبيعة المجتمع فلا يستطيع ان يزيل الفقـر ويقضي على البؤس وذلك ان هذه المبادىء الماركسية اذا قدمت الطعام واللباس والمسكن للطبقة الفقيرة وافلحت في القضاء على مظاهر الحاجة ولكنها تواجه المشاكل الاخرى النفسية والاجتماعية والاقتصادية والصناعية التي تبرز في المجتمع من كبت حرية الفرد في جميع المجالات والحقـول وارتباط حياته ومستقبله وكرامته بالآخرين والحكم بـين

الناس في ظل النار والحديد والارهاب والفزع واحصاء الانفاس و... مما يخنق الانسان .

ولا فائدة في مثل هذه الحياة التي يسودها الاضطهاد والضغط فان قيمة الانسان لا تكمن في اشباع بطنه وما يغطي جسمه والرقعة التي يلتجىء اليها وانما تكمن في حريته وكرامته وتقديره .

ومن مضاعفات المادية الديالكتيكية الماركسية والمادية التاريخية الالحاد بالله سبحانه وتعالى والكفر برب العالمين والجحود بالبارىء المبدع . في حين ان الفطرة تسوق الانسان الى الاذعان والايمان بالله « فطرة الله التي فطر الناس عليها »

وقوله تعالى :

« أَفِي اللهِ شَكٌّ فاطِرِ السمَواتِ وَالْأَرْض ».

الاسـلام والفقراء

نستعرض في هذا الفصل منهج الاسلام في مكافحة البؤس والفقر وازالتهما عن المجتمع ونطرح السبل التي وضعت على يد النبـي الاعظم (ص) لمعالجة المشاكل المادية لـدى الطبقة المحتاجة •

١

الاسلام ومشكلة الفقر :ـ

وبعد ان انتهينا الى الاسلام لمعرفة حلوله وسبل علاجه لهذه المشكلة العصيبة لا بد من توضيح مفاهيم طالما اساءت الى موقف الاسلام من الفقر ، وشوهت المعالجة التي يتبعها الاسلام في هذا المضمار ، وعرضها في صورتها الصحيحة، حتى يتبلور رأي الاسلام امام هذه الظاهرة المؤلمة اكثر فأكثر . وهذه المفاهيم هي :ـ

١ ـ الاسلام والفقر :ـ

قد يظن البعض بان الاسلام يحبذ الفقر ويندب اليه ويثيب على البؤس والحاجة والتقشف ويكره الغنى والثروة وجمع الاموال . ولكن الحقيقة على العكس من هذا فان الاسلام يمقت الفقر ويقاوم الحالات التي تسوق الانسان الى المسكنة والذل والمهانة من جراء الحاجة .

ولعل الآية الكريمة التالية توبخ الفقير الذي أساء الى نفسه وازدراها بفقره وضعفه :ـ

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا .

(٩٨ / النساء)

فان الفقر المدقع الناتج من الكسل والجمود ضرب من الظلم الى النفس والكرامة والاهل ، ويكون الانسان مسؤولا أمام الله عن هذا الهوان الذي يجنيه على نفسه وعائلته واولاده من جراء الاهمال والكسل المورثان للفقر.

وقوله تعالى :

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .

(١٠ / الجمعة) ١

وهذه الآية تحث على طلب الرزق والمال عقيب الصلاة الواجبة ولعل هذا التنسيق بين الفريضة والعمل يلوح للمسلم بان

ابتغاء الرزق والتماس فضل الله واجب مثل وجوب الفرائض اليوميـة .

والآية الكريمة :

« هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ »
(١٥/الملك)

واضحة وصريحة في ان الطبيعة مائدة الله المبسوطـة امام الانسان مهما كان دينه ، واتجاهه ومبـدئوه لكي يرتزق منها ويتناول من طيباتها .

وقال ابوذر الصحابي الجليل رضي الله عنه : كاد الفقر ان يكون كفرا . وأثر عنه ايضا عجبت لمن لا يجد قـوت يومه كيف لا يخرج على الناس شاهرا سيفه .

وقال الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم: نعم العون على تقوى الله الغنى .

وقال الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله ايضا : اليـد العليا خير من اليد السفلى .

وأرشد الامام الصادق عليه السلام الى الدعوات التـــي ينبغي للانســـان ان يطلبها من ربـــه حيث قال واسألوا الله الغنى في الدنيا والعافية ، وفي الآخرة المغفرة .

وتعوذ رسول الله صلى الله عليه وآله من الكفر والفقر قائلا :ــ

اللهم اني أعوذ بك من الكفر واعوذ بك من الفقر .

والاستعاذة خير مؤشر الى شين الفقر وبشاعته وقبحه في حياة الانسان .

فهذه بعض النصوص الاسلامية التي تكشف عـــن موقف الاسلام السلبي تجاه الفقر والحاجة وتذم البؤس والفقر وتجعله مرادفا للكفر في بعض الاحيان .

٢ ــ الاسلام والعزلة عن الحياة الدنيوية :ــ

ويزعم البعض الآخر بان الاسلام قد بعث عـــلى اعراض المسلمين عن الدنيا ودفعهم نحو الآخرة ، ودعـــــاهم الى تحقير الدنيا وزخرفها وحياتها فانها فانية دائرة بائدة، ويجب الانصراف الى الحيـــاة الاخروية الخالـــدة الباقية ، ونبه المسلمين بانه كلما كانت الثروة اقل كلما كان حسابه ووقوفه في يوم القيامة بين يدي الله اخف وأيسر . فالدروشـــــة

والتصوف والعزلة من المستحبات في الاسلام. ويستشهدون بنصوص مأثورة عن النبي وعترته الطاهرين حيث نقلوا عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله « من احب دنيـــاه أضر بآخرته ». وعن الامام علي بن ابيطالب عليه السلام « ان من اعون الاخلاق على الدين الزهد في الدنيا » .

ويروى عن الامام الصادق عليه السلام « ابعد ما يكــون العبد من الله اذا لم يهمه الا بطنه وفرجه » .

هكذا يزعمون ويسيئون الى الدين الحنيف ، في حين ان الآخرة مرتبطة بالدنيا وانها البعد لهذه الحياة الدنيوية ففي الحديث الشريف « الدنيــا مزرعة الآخــرة »

قال الله تعالى :

« فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ » .

٨ سورة الزلزلة

ان الاسلام من هذا المنطلق يحث على الحياة الدنيوية ، وممارسة الاعمال الاجتماعية ، والاقتباس من حضارتهـا ومدنيتها ، والاستزادة من زينتها .

« قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ .

٣٢ سورة الاعراف

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ .

٨٧ سورة المائدة

ويرى بان العمل والقول الناشيء من الانسان في هذه الدنيا ينعكس على حياته الاخروية فيفرض على المسلم ان يسلك السبل المشروعة في حياته الاقتصادية والاجتماعية ويزاول الاعمال التي لا تسيء ولا تضر بالآخرين مثل الغش والخيانة والكذب والاختلاس والتطفيف في الكيل او الميزان و ... كل ممارسة فيها اعتداء على حقوق الناس وامتهان للمجتمع .

ان الاسلام يربط بين الدنيا والآخرة ويجعلهما وحدة متراصة لا يسمح باخذ احداهما دون الاخرى

« رَبَّنا آتِنَا في الدُّنْيا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً » .

٢٠١ سورة البقرة

وفي الحديث الشريف عن الامام الباقر عليه السلام ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه(١)• وعنه ايضا: اني ابغض الرجل كسلانا عن أمر دنياه ومن كسل عن أمر دنياه فهو عن امر آخرته أكسل •

قال رسول الله صلى الله عليه وآله نعم العون على تقوى الله الغنى•

وقا لالامام الصادق عليه السلام ان نعم العـــون على الآخرة الدنيا •

وعن الامام الباقر عليه السلام ان نعم العون الدنيا على طلب الآخرة •

وقال علي عليه السلام اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا •

---

(١) وسائل الشيعة ج١٢ الطبعة الحديثة ص ٤٩

وهذه النبذة من الاحاديث الشريفة تعكس رأي الاسلام عن الدنيا ويتلخص في ان الدنيا حميدة اذا كانت الاساليب المتبعة للارتزاق انسانية وصحيحة • وانها كريهة ومذمومة اذا اتبع الانسان الخطوات اللامشروعة لـلاثراء من دون ملاحظة نوعيتها وعدم مشروعيتها • واليك المزيد من هـذه الروايـات :ـ

ففي وسائل الشيعة ج١٢ من الطبعة الحديثة ص ١٩ عن الامام الصادق عليه السلام لا خير فيمن لا يحب جمـع المال من حلال يكف به وجهه ويقضي به دينه ويصل بـه رحمـه •

وفي الحديث ٣ قال رجل لابي عبد الله عليه السـلام والله انا لنطلب الدنيا ونحب ان نؤتاها فقال تحب ان تصنع بها ماذا قال اعود بها على نفسي وعيالي واصل بها واتصدق بها وأحج واعتمر فقال ابو عبد الله عليه السلام ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الآخرة •

وفي البرنامج الذي وضعه الامام علي عليه السلام لواليه على مصر محمد ابن ابي بكر وأمره بقراءته على أهل مصر صورة رائعة عن موقف الاسلام تجاه الحياة قال علـيه الصلاة والسلام :ـ

يا عباد الله ان المتقين حازوا عاجل الخير وآجله ، شاركوا

أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم اهل الدنيا في آخرتهم اباح لهم الله الدنيا ما كفاهم به واغناهم ، قال الله عز وجل « من حرم زينة الله التي اخرج لعبـاده والطيبـات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون سكنوا الدنيا بأفضـل ما سكنت وأكلوها بافضل ما أكلت وشاركوا اهل الدنيـا في دنياهم فأكلوا معهم من طيبات ما يأكلون وشربوا من طيبات ما يشربون ولبسوا من أفضل ما يلبسون وسكنوا من افضل ما يسكنون وركبوا من أفضل ما يركبون اصابوا لـذة الدنيا مع اهل الدنيا وهم غدا جيران الله يتمنون عليـه فيعطيهم ما يتمنون لا ترد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب من اللذة فالى هذا يا عباد الله يشتاق من كان له عقل ويعمل له بتقوى الله ولا حول ولاقوة الا بالله)»

وفي الحديث « قال لي ابو عبد الله جعفر بن محمـد عليه السلام لا تدع طلب الرزق من حله فانه عون لك على دينك واعقل راحلتك وتوكل »

فيتمخض من هذه الدراسة المقتضبة ان الاسلام يحارب الحرام والسبل اللامشروعة التي قد تطغى على فكر الانسان وعقله فيتورط فيها ولا يبالي ويحبذ بل يفرض الانخراط في الحياة الدنيوية التي يكتسبها ويحظى بها عن طريق كسب

مشروع وارتزاق صحيح•

ويلتجىء الانسان الى الحرام عندما تنقلب الثروة الى غاية وهدف في الحياة وتستحوذ على عقله وقلبه ، لانها تحجبه عن الله ونظامه في الارض ، وتحول دون اقامة العدل ، وحينئذ يكون حب الدنيا والثروة رأس كل خطيئة •

واذا كانت وسيلة لجر الانسان الى تنمية الطاقات البشرية ومضاعفة الانتاج وتحقيق العدالة والاخوة والكرامة في المجتمع كانت الثروة خيرا وعونا على الآخرة •

٣ ـ الاسلام والزهد :ـ

يختلف مدلول الزهد عن محتوى الفقر فالفقير هو الذي لا يجد قوت نفسه ولا يملك رزقا يعيش به لفترة سنة واحدة على الاقل وقد قاومه الاسلام •

واما الزاهد فهو الذي لا يزيغ عن الحق ولا يطغى لدى الاستغناء المالي ولا يغتر بمتاع الحياة الدنيا وزخرفها وهو مستحب ومحبذ في الاسلام • فعن الامام علي بن أبي طالب عليه السلام ليس الزهد ان لا تملك شيئا بل الزهد ان لا يملكك شيء•

فاذا ملك الانسان عشرات الآلاف من الدنانير من الكسب المشروع ودفع الحقوق الشرعية ولم تهيمن الاموال على

عقله وعواطفه كان زاهدا .

ان الرسالة الاسلامية تصوغ الانسان المسلم على ضوء ركائز تستقي من الايمان بالله وتتدخل في كافة شؤون حياة الانسان حتى تشتد صلة العبد بربه ويتعمق الايمان في قلبه ولا تشذ خطوة او عمل يصدر من المسلم من دون خلفية ملاحظة ارادة الله سبحانه وتعالى . فان رغبة الله وارادته يجب ان تتحكم في حياة المؤمن المنقاد للرب الكريم وهذا هو الزهد المطلوب المرغوب فيه لدى الاسلام . قال الامام الصادق عليه السلام ليس الزهد في الدنيا باضاعة المال ولا تحريم الحلال بل الزهد في الدنيا ان لا تكون بما في يدك اوثق منك بما عند الله عز وجل.(١)

وهكذا نأتي الى نهاية هذا الفصل من الحديث مدركين بان الاسلام لا يعزل المسلم عن الحياة الدنيوية المحدقة به بل يبعده عن الممارسة للسبل المحرمة .

٤ ـ الاسلام والعمل :ـ

ان العمل الذي يمارسه الانسان في حقل التجارة او الصناعة او الزراعة مع ملاحظة الاداب التيوضعها الاسلام

---

(١) وسائل الشيعة ج١٢ ص٢٠

للكسب المشروع والخطط التي فرضها الدين على المسلم لارتزاقه ومعيشته مثل هذا العمل يكون مقدسا وذا أجر عظيم • ويغنينا التنويه الى نموذج من الروايات التي تعالج هذا الموضوع عن الاطالة في الكلام والاسهاب في هذا المضمار :ـ

قال الراوي :

سئل الامام الصادق عليه السلام عن رجل وانا عنده فقيل أصابته حاجة قال فما يصنع اليوم قيل في البيت يعبد ربه قال فمن اين قوته قيل من بعض اخوانه فقال ابو عبد الله والله الذي يقوته أشد عبادة منه •

وعن الامام موسى بن جعفر عليه السلام من طلب هذا الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله •

وقد ذم الاسلام الكسول والمهمل للعمل فعن الامام الصادق عليه السلام قال ان الله عز وجل يبغض كثرة النوم وكثرة الفراغ (١)

وقال الامام الصادق عليه السلام عدو العمل الكسل(٢)•

---

(١) الوسائل ١٢ الطبعة الحديثة ص ٣٦
(٢) الوسائل ١٢ الطبعة الحديثة ص ٣٧

وحدثنا التاريخ الاسلامي عبر المأثور عن اهل بيت الرسول ان معظم الانبياء والصالحين كانوا يمارسون عملا يكتسبون رزقهم منه .

عن ابي حمزة قال رأيت ابا الحسن ـ علي بن موسى الرضا عليه السلام ـ يعمل في ارض له قد استنقعت قدماه في العرق فقلت جعلت فداك أين الرجال ؟ فقال يا علي قد عمل باليد من هو خير مني ومن ابي في ارضه فقلت ومن هو ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين عليه السلام وآبائي كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والاوصياء والصالحين (١).

وعن الامام الصادق عليه السلام قال كان امير المؤمنين يحتطب ويستقي ويكنس وكانت فاطمة تطحن وتعجن وتخبز .

وعن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله انه رفع يوما يد عامل مكدود فقبلها وقال طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة ومن أكل من كد يده مر على الصراط كالبرق

---

(١) الوسائل ج١٢ الطبعة الحديثة ص ٢٣

الخاطف ومن اكل من كد يده نظر الله اليه بالرحمة ثم لا يعذبه ابدا ومن أكل من كد يده حلالا فتح له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء •

ومر شخص على الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام وهو يمارس العمل في ارض له ويجهد فقال له اصلحك الله أرأيت لو جاء أجلك وانت على هذه الحالة فأجابه الامام ــ وهو يعبر عن مفهوم العمل في الاسلام ــ لو جاءني الموت وانا على هذه الحال جاءني وانا في طاعة من طاعة الله عز وجل •

وعن الامام الصادق عليه السلام انه قال لمعاذ ــ وهو احد أصحابه الذين اعتزلوا العمل لغناهم ــ يا معاذ اضعفت عن التجارة او زهدت فيها ؟ فقال معاذ ما ضعفت عنها ولا زهدت فيها عندي مال كثير وهو في يدي وليس لاحد علي شيء ولا اراني آكله حتى اموت • فقال له الامام : لا تتركها فان تركها مذهبة للعقل •

وعندما نزلت الآية الكريمة « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » اعتكف جماعة في بيوتهم وانصرفوا الى العبادة وقالوا لدى سماعهم الآية الكريمة قد كفانا فأرسل اليهم النبي قائلا ان من فعل ذلك

لم يستجب له عليكم بالطلب •

فالعمل مصدر للغنى والثراء ويكون العامل معززا وعظيما عند الله سبحانه ويعد العامل عابدا ومجاهدا ومثابا ما دام يكدح ويجد في سبيل تحصيل رزق يتقوت به •

٥ ـ المال في الاسلام :ـ

جعل الاسلام الاموال والثروات والارض والسماء والحيوانات البكماء والاشجار والبحار والانهار والافلاك والمجرات والانسان والاسماك و••• من أحقر شيء الى أعظم شيء مملوكا لله تعالى وقد تكلفت ما يقارب من ثلاثين آية من القرآن الكريم بيان ذلك منها :ـ

وَلِلّهِ مُلْكُ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ .

(المائدة/١٧)

وَلِلّهِ مُلْكُ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ .

(١٢٠/المائدة)

لِلّهِ مَا فِي السَّموَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الْحَمِيدُ .

(٢٦/لقمان)

وَآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذِي آتاكُمْ .

(٣٣/النور)

وَمالَكُمْ ألاّ تُنْفِقُوا في سَبِيلِ اللهِ وَلِلهِ مِيراثُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ .

(١٠/الحديد)

ثم جعل الاسلام الانسان خليفة لله على أرضه وعلى ما فيها من الاموال والثروات

« هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إلاَّ مَقْتاً » .

(٣٩/الفاطر)

وله سبحانه ان يسحب هذه الثقة وينتزع الخلافة منه

« إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَنْ يَشَاءُ » .

(١٣٣/الانعام)

وتقتضي هذه الخلافة ان يتلقى الانسان تعليماته ومنهجه في الحياة في كافة المجالات ومنها الثروات والاموال من الله سبحانه

« آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ . »
(٧/الحديد)

وعلى اساس هذه الخلافة للانسان وملكية الثروات لله سبحانه وتعالى يحدد الاسلام سلوك الناس ويجعلهم مسؤولين في تصرفاتهم المالية . فمنع من اعطاء الاموال بايدي السفهاء وضعيفي العقول :ـ

« وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِياماً وَارْزُقُوهُمْ وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً » . (٥/النساء)

ومنع المعاملات الربوية، والاحتكار ، والاسراف ، والتبذير ، وأكل المال بالباطل :ـ

« وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلْ »
(١٨٨ / البقرة)

ومنع ايضا دفع المال رشوة . والغبن والغش و ...

كما امرهم بالانفاق على الفقراء وتفقد احوالهم

ومساعدتهم على نفقات حياتهم وتخفيف عبء المعيشة عن كاهل المستضعفين . قوله تعالى :

وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ .

(٢٩/فاطر)

« لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ »

(٩٢/آل عمران)

« وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ . »

(٣٨/محمد)

وعن رسول الله (ص) انه قال « ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت ولبست فأبليت وتصدقت فأبقيت .»

وقال ايضا يقول العبد مالي مالي وانما له من ماله ما أكل فأفنى او لبس فأبلى او اعطى فاقتنى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس . فعندما يأمر الاسلام بالانفاق والعطاء فكأنما يحث السيد عبده والموكل وكيله بالدفع من الاموال التي يمتلكها لدى العبد او الوكيل .

مكافحة الاسلام للفقر :ـ

يعتقد الاسلام بان المشكلة الاقتصادية تنبعث من مصدرين

احدهما : سوء التوزيع والظلم الاجتماعي الذي يمارسه القائمون بالحكم •

ثانيهما :ـ عدم استغلال الطبيعة واستثمارها بشكل صحيح • فاذا تمكن الانسان ان يسخر طاقاته العقلية والجسمية في سبيل تسخير الطبيعة واستنزاف ثرواتها وخيراتها ثم سلك منهج العدالة في توزيع بركات الارض والثروات على الناس لما شوهد وجه الفقر والحرمان على وجه الارض ابدا •

قال الله سبحانه :

« اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءاً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الإنسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ »

(٣٤/ابراهيم)

فنشعر من قوله :

« وَآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ » .

ان الثروات الطبيعية بعد تسخيرها واستثمارها تلبي حاجة الانسان وتفيض فان نعم الله لا تحصى • ولكن الانسان اذا جار وأسا في توزيع الثروة وكفر بالنعم الالهية انبثقت المشاكل في المجتمع •

ولقد انطلق الاسلام الكريم في مكافحة الفقر والشقاء من منطلقين متكاملين لحيلولة الانسان دون الظلم والحيف بتربية الانسان خلقيا وتهذيبه نفسيا وتنمية عواطفه ومشاعره في فتح آفاق جديدة عليه تلتئم مع طموحاته واندفاعاته الشخصية • وبوضع منهاج اقتصادي تسير عليه الدولة الاسلامية في قيادة امتها نحو السعادة والرخاء والقضاء النهائي على مظاهر الفقر والحاجة •

١ ـ البناء النفسي للبذل والعطاء :ـ

ان تربية الانسان نفسيا على مفاهيم ايجابية ومداليل صحيحة ، تبعث على تذليل كافة العقبات وازالة جميع العراقيل والمثبطات التي قد تحول دون انفاق الاغنياء على المحتاجين ومساعدتهم للفقراء وتضحيتهم بالاموال والثراء في سبيل رفع مستوى حياة المساكين•

ويشدد الاسلام على العامل النفسي في بذل الانسان

من ثرواته وتضحيته باموال لانه يرى بان العوامل الذاتية في الانسان ذات اثر كبير في تكوين شخصية الانسان تشع من خلالها بالعطاء وتتدفق بالخير والبركة وتدفع صاحبه على مساعدة الآخرين .

وعلم النفس الحديث يؤيد هذا الموقف ويرى بان تنظيم المجتمع على اساس التعاون لو استمد من الاعماق الفكرية والروحية للناس لكان مجتمعا قادرا على تخطي العقبات وازالة الحواجز القائمة في طريق الرفاه والسعادة .

ففي الانسان نزعة ذاتية وغريزة فطرية تدفع الانسان نحو تحقيق مصالحه الشخصية وتفضيل منافعه ومكتسباته على مصلحة المجتمع وان استلزم ذلك الاعتداء على حقوق الناس واختلاس اموال الآخرين .

وهذه الغريزة هي غريزة .. حب الذات .. التي تختفي وراء كل تصرف وعمل حتى ايثار الاخ او الولد او الصديق أو الزوج على النفس او الانتحار وايقاع النفس في التهلكة، اذ ان الانسان بعد ان يقارن بين خسارته المادية ولذته من وراء الايثار ، ويعلم بأن اللذة تفوق الخسارة ، يؤثر الآخرين ويفضلهم على نفسه . او انه عندما يوازن بين متاعبه وآلامه التي يتجرعها في الليل والنهار وبين راحته في الموت والهلاك ، ويلمس بان اللذة تكمن في الراحة

والخلاص من الحياة المرهقة يقدم على الانتحار والقضاء على حياته .

ومثل هذه المحاسبة موجودة خلف كل عمل ونشاط يمارسه الانسان حسب مستواه الفكري والعقلي.

فسلوك الانسان الفردي والاجتماعي ينبع من غريزة حب الذات المتحكمة في الانسان الباعثة على ممارساته الشخصية أو الاجتماعية .

وعندما تسيطر غريزة حب الذات على عقل الغني وفؤاده استأثر بامواله وثرواته ولم ينفقها على المحتاجين ابدا . كما انه لم يتنازل عن ارباحه الهائلة التي تدرها عليه اساليبه اللامشروعة في الكسب واستمر في تضخيم ثرائه وأمواله لان هذه النزعة الانانية تسير الانسان وتقوده في اتجاه تحقيق مآربه الشخصية وتقبض على يديه حين البذلوالعطاء لما تشعر في ذلك نقصان وخسارة من غير تعويض مادي أو معنوي فيبخل الرأسمالي ويضن بثرائه وأمواله ولا ينفق بعضا منها على المحتاجين.

وهنا الطامة الكبرى للطبقة الفقيرة الجائعة المسحوقة .

ويتصدى الماركسيون لمقاومة هذه النزعة الفردية ويحلمون في استبدالها بنزعة اجتماعية ، بتخيل ان غريزة

حب الذات فرع من الملكية الخاصة التي يعترف بها المجتمع الرأسمالي فاذا انهار النظام الرأسمالي وتقوضت دعائمه بفضل التناقض والصراع القائم بين الطبقة الرأسمالية المستغلة والطبقة العاملة المضطهدة واستأصلنا الاصل - الملكية الخاصة - ذبل الفرع - غريزة حب الذات - ومات واندثر. وهم يسعون مستعجلين في ابادة النظام الرأسمالي واحلال النظام الاشتراكي الماركسي تمهيدا لقيام مجتمع شيوعي، حتى لا يبقى أثر ولا عين لهذه الغريزة الفردية والنزعة الشخصية ابدا .

هكذا يزعمون ويتخيلون وهم قد نسوا او تناسوا للوصول الى اهدافهم السياسية من الزعامة والتحكم في البلاد والعباد ، بأن هذه النزعة الفردية تستقي من طبيعة الانسان وسجيته وتستحيل محاربتها والتخطيط لابادتها فان الذاتي لا يتغير ولا يزول بتاتا .

كما أنهم اخطأوا في تقديرهم بان الغريزة وجه ومظهر للملكية الخاصة، في حين ان العكس هو الصحيح. اذ ان غريزة حب الذات هي التي تملي على الناس والمجتمع الملكية الخاصة ولولاها لما فكر الانسان في الاستئثار الفردي ولما برزت الملكية الخاصة في العالم البشري ابدا .

والاسلام العظيم قد وعى هذه الحقيقة الفطرية وانطلق

من هذه النزعة لدفع الناس نحو التعاون والبذل والعطاء.

وسلك لتحقيق الوفاق بين المصلحة الشخصية الهادفة الى تحقيق المكاسب الفردية والمنافع الذاتية المنبثقة من غريزة حب الذات وبين المصلحة الاجتماعية التي يتطلبها المجتمع الانساني سبيلين :ـ

الاول : تفسير الحياة :ـ

ان تفسير الاسلام للحياة وتحليلها بصورة جديدة تبعث على رؤية حديثة للمسلم ، الى الكون والحياة تختلف كثيرا عن رؤية الانسان الذي لم يرتبط بالدين أبدا .

لقد اعتبر الاسلام الحياة الاخروية امتدادا للحياة الدنيوية واستمرارا لها وان الانسان يكون خالدا لا يفنى وانما يتخطى مراحل ويتنقل من حالة الى اخرى ومن صورة الى ثانية فيترك هيكلا وشكلا ويتقمص رداء وشكلا آخر حيث تموت الخلايا وتتبدد ، وتنشأ خلايا اخرى من جديد .

وقد لخص القرآن الكريم التعبير عن هذه الحالات المتتالية بقوله سبحانه :ـ

وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ

« ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنا المُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا العِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ تُبْعَثُونَ » .

(١٦ / المؤمنون)

فيسير الانسان الفرد رحلة طويلة تبتدىء من حين لقاح البويضة الخصبة بحويمن الرجل ويبقى متكاملا ومتطورا من حالة الى اخرى . فلا دمار ولا اضمحلال ولا فناء الى الابد وانما هو تغيير وتبديل في الشكل والصورة والمظهر بالرغم من التباين السحيق والفجوة الواسعة بين الرحلات المتتالية للجسم وبين قفزته ورحلته الى عالم آخر مجهول بعد ان يترك الجسد المادي ويعيش في حياة ثانية لا معرفة لنا بها الا عبر أحاديث قادة البشر الانبياء الصالحين وعباده المرسلين.

ويعتبر الاسلام الحياة الدنيوية السابقة تمهيدا للحياة اللاحقة التالية التي تنعكس فيها آثار الاعمال والسلوك الذي مارسه في الدنيا .

وكما ان الطفل الذي يتغذى من ثدي امه ويرتوي منها يكون أوفر صحة ونشاطا في مراحله التالية من عمره وله أثر كبير في بنيته وتكوينه الطبيعي ، في حين ان الطفل الــذي حرم من حليب الام وحرم من التغذية الكاملة يكون نحيفا أو ضعيفا .

وكما ان الشاب الذي ينشأ على مزاولة اعمال صعبة وشاقة في فترة شبابه يكون اقوى أيام الكهولة والشيخوخة من الفتى الذي درج على النعومة والترف .

فهكذا ما يفعله الانسان في هذه الحياة الدنيوية سيترك أثرا على الحياة التالية الاخروية :ــ

« وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ » .

(٣٩ / السبأ)

« وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ . وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُونَ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ » .

(٢٧٢ / البقرة)

« يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ » .

(٦ / الزلزلة)

« يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً » .

(٣٠ / آل عمران)

« مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » .

(٤٦ / فصلت)

« مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

(٥٤ / الأنعام)

وعشرات الآيات الاخرى التي تركز على كينونة الانسان بعد الموت وانه يحصد اعماله التي زرعها في الدنيا •

وبهذا الاسلوب يستميل الاسلام غريزة حب الذات الى التأمل والتفكر في أن البذل والتضحية والاحسان والعمل

الصالح في المجتمع وللطبقة الفقيرة وان كان باعثا على الخسارة ونقيضه في المال • ولكن في مثل هذه الخسارة لذة وتعويضا ومنفعة تفوق الخسارة المحتملة الواردة من جراء البذل والانفاق •

فالانسان قد يدفع المال ويبتاع به قطعة ارض أو سلعة عوضا عن الثمن المدفوع نقدا،فكذلك يعمل الصالحات وينفق على الفقراء ويحسن الى المساكين ويقبض الاجر والعوض بعد موته ورحلته الى الحياة الثانية •

وتعد كلتا المعاملتين منسجمتين مع غريزة حب الذات الكامنة من الإنسان .

« يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ » .

(١٠ / الصف)

« يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ ».

(٢٩ / فاطر)

ومثل هذا التصوير الرائع عن الحياة بجناحيها وطرفيها الدنيا والآخرة للانسان يحث النزعة الفطرية ــ حب الذات ــ الى العطاء والانفاق والعمل الصالح تحقيقا لمكاسبه الشخصية فيما وراء الدنيا من دون خوف وخشية •

الثاني : التربية الخلقية :ـ

يؤمن الاسلام بالاخلاق والمثل والقيم الانسانية ويتخطى المحن الاجتماعية والتشنجات الاقتصادية بتهذيب الاخلاق وشحذ الهمم والتركيز على المبادىء الانسانية •

ومنذ بزوغ الاسلام يتعهد الدين الحنيف بتعبئة النفوس المسلمة بالعواطف النبيلة والمشاعر الطيبة والاحاسيس السامية فيأمر بالاخوة والمحبة :

« إنَّما الْمُؤْمِنُونَ إخْوةٌ » .

وقوله عليه السلام : أحبب لغيرك ما تحب لنفسك •

والعدل والقسط :

« إعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلْتَقْوى » .
(٨ / المائدة)

والاحسان :

« وأحْسِنُوا إن اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » .
(١٩٥ / البقرة)

والانفاق والبذل :

« الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنّاً وَلا أذىً لَهُمْ أجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِهِمْ » . (١٢٦/البقرة)

ويأمر بكل ما يثير حاسة الفضيلة والخير ويحفز على القيم والمثل الكريمة الرفيعة • ومن منطلق الاخلاق والمشـاعر يصوغ الانسان صياغة طاهرة نقية وراء كل فضيلة وخـير ويحول دون انجرافه وراء رغباته وشهواته وانانياته •

وقد نجح الاسلام في تجربته هذه لحث المسلمـين على الاعمال الصالحة والمحافظة على الضامن الاساسي لكل بر وخير في مجتمع المسلمـين بعد أن انحسر ظـل الدولة الاسلامية عن الشعب المعتنق للاسلام •

ان دفع الزكاة والحقوق الشرعية والمساهمة في كل خير بصورة دقيقة وسرية ينبىء عن مدى اثر هـذه التربيـة الاسلامية في نفوس المسلمـين بالرغم من تفشي الفساد وشيوع الفحشاء والمنكر •

هذه هي الاطروحة الاسلامية التي ترفع الى المجـتمع لتهيئة النفوس ودفعها تجاه الاعمال الناجعـة وتشجيعهـا للقيام بالتضحية والعطاء•

٢ ـ المنهاج الاقتصادي

لم يلمس الاسلام مشكلة الفقر في قلة الموارد الطبيعيـة وعدم كفافها لاشباع جميع الناس وتلبية متطلباتهم وحاجاتهم كما ترتأي الرأسمالية لتبرير اختلاسها واحتكارها والعبث بمصير الشعوب •

كما لا يجدها في التناقض والصراع المزعـوم بين شكل

الانتاج وعلاقات التوزيع لـــدى الماركسيين للانتهاء الى اهدافهم السياسية عبر التأميم .

وانما يوعز المشكلة الى الظلم الاجتماعي الذي يجترحه الانسان ويتجسد هذا الحيف والجور في سوء التوزيـع للثروات بين الناس بالرغم من يسرها ووفرتها في الطبيعة .

لقد خلق الله سبحانه الطبيعة من الارض والاشجـار والانهار والبحار والحيوانات والمعادن و.... تتناسب مع حجم الطلب ، وسمح الاسلام لاستثمار الطبيعة وتسخيرها بفضل العلم والمعرفة المتطورين . قال الله سبحانه وتعالى:

« اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ.

(٣٣ / ابراهيم)

« أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وما فِي الأَرْضِ » . (٢٠ / لقمان)

« وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ » . (١٣ / الجاثية)

وكلمة ما في السموات وما في الارض تعم المعادن والمناجم والثروات المكتنزة في الارض والطاقات الحرارية المستفادة من الشمس او القمر عبر المد والجزر ٠

« وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا » . (١٤ / النحل)



وبعد أن زود الله الانسان بامكانية تسخير الطبيعة بفضل عقله ووعيه ، وذلل الطبيعة بين يدي الانسان ، وضع نظاما ومنهجا لمكافحة الفقر ينطوي على اسس متينة وقواعد ثابتة تتلخص في التوزيع العادل للثروات الطبيعية والضمان الاجتماعي والتكافل الاجتماعي من جهة والحيلولة دون الاثراء على حساب الغير من جهة اخرى ٠ واليك بسط الحديث في كل واحد منها ٠

التوزيع العادل للثروات الطبيعية

ويتم التوزيع العادل على اساس العمل اولا فان الاسلام يحترم العمل ويشكر الجهد المبذول ويجعله سببا للملكية

الخاصة ، حيث ان الميل الطبيعي في كل انسان تملك ما ينتجه والسيطرة على ثمرة جهده فتكون الملكية هذه حقا مشروعا للانسان العامل ٠ ويحظر على الآخرين منازعته عليه أبدا ٠ وتحصل الملكية للمادة المنتجة المصنوعة مباشرة لا القيمة المعوضة التي تقدر للسلعة المنتجة ٠

ويجب ان نعلم بان العمل علة للملكية الخاصة فيما اذا تدخل في تكوين الثروة مثل عمل الفلاح في الزرع او الغرس والعناية الفائقة للمزروعات او في اعدادها للاستفادة منها مثل ما يستخرج من الطاقات الكهربائية من القوى المنتشرة في الطبيعة ضمن حدود خاصة وقوانين مقررة مذكورة في الفقه الاسلامي ٠

واما الثروات العامة التي لا تحتاج الى تصنيع ولا تتطلب الى اياد عاملة لتكوينها مثل الارض والبترول والمعادن والمناجم والثروات المذخورة تحت الارض فتعد للجميع ومن حق العامل ان ينتفع منهذه الثرواتطالما يستغلها ويستثمرها بجهوده ، واذا تركها وأهملها سقط حقه عنها ٠

وعلى أساس الحاجة ثانيا حيث ان الطبقة المحتاجة التي تقدر على العمل ولكنها لا تستطيع ان تسدد نفقات عيشها الا بمقدار حد ادنى ، او التي لا تملك الطاقة والقدرة على العمل ابدا لشيخوخة او مرض فقد وضع الاسلام نظاما اقتصاديا عبر الضمان والتكافل الاجتماعيين لتهيئة حياة ناعمة ورخية لامثال هؤلاء البائسين المحتاجين٠

ويتجسد هذا التوزيع العادل ضمن اطار منهاج اقتصادي اسلامي وتخطيط خاص للثروات الطبيعية المتمثلة في الارض والمعادن الظاهرة والباطنة والمياه الطبيعيـــة وفي التكافل والضمان الاجتماعيين.

وقد صنف الاسلام ملكية الثروات الطبيعية العائدة الى جميع المواطنين والتي يستهدف من ورائها الحيلولة دون تكدس الثراء في أيادي فئة وسحق الفئة الفقيرة الى قسمين ملكية الدولة والملكية العامة .

ملكية الدولـة

ويقصد من ملكية الدولة للثروة الارضية او المعدنيـــة، او الاموال المنقولة وغير المنقولةان الجهة الشرعية التي أقرها الاسلام للنبي صلى الله عليه وآله او الامام والخليفة من بعده لمباشرة الحكم بين المسلمين المسماة بـ « المنصـب الالهي » تملك هذه الثروات الطبيعية ويتصرف المنصب على ضوء ما هو مسؤول عنه من المصالح الفردية او الاجتماعية ويعبر عنه في القانون الحـــديث بـ « الاموال الخاصة للدولة » .

الملكية العامة :ـ

وهي ما اذا ملكت الامة الواحدة او الناس جميعا ثروة نقدية او عقارية او معدنية او ... ويسمى في عرف اليوم بـ « الاموال العامة للدولة ».

الفوارق بين نوعي الملكيتين :ــ

ان الهدف والمغزى من هذين الشكلين من الملكية النهوض بالمستوى الاقتصادي للبلاد واستثمار الخيرات الطبيعيــة في مصلحة الجميع والترفيه على الشعب الفقــير • ولكن توجد فوارق بسيطة بينها تتلخص في : ــ

اولاــ ان الاملاك العامة تسخر وتستثمر في المصالح العامة التي تعود منفعتها على الجميع مثل المستشفيات والمدارس والمؤسسات الاجتماعية العامة • في حين ان الاملاك الخاصة للدولة تصرف في المجالات العامة ويجوز صرفها وانفاقها في مجالات خاصة لمصلحة فئة معينة اذا رأى الحاكم الاسلامي العادل الولي للامر مصلحة في ذلك مثل ان يعطى قدرا من المال لبعض ذوي الحاجة حتى يجعله رأس مال تجاري يرتزق من ورائه •

ثانيا ــ تبقى الاملاك العامة على ارتباطها بالجميع ولا يسمح لاحد بالحق الخاص فيها مهما عمل وبذل الجهد في تلك الاملاك • بينما ان العمــل في املاك الـــدولة بعد الاستئذان منها يسبب حقا خاصا في ذلك الملــك مثل ان يحيي الاراضي الميتة التابعة للدولة فيكون للفلاح والمحيي حق ما دام يحييها واذا تركها واهملها سقط الحق وكانت رقبة الارض ملكا للجميع حتى يطرأ الاحياء على يـــد اخرى •

ثالثا ــ يحظر شرعا على ولي الامر بوصفة مسؤولا عن

شؤون المسلمين ومصالحهم ان يبيع او يهب الاملاك العامة وفي وسعه القيام بمثل هذا التصرف في املاك الدولة ان استدعت المصلحة ذلك .

الاملاك العامة :ــ

تفرض الملكية العامة على الثروات التالية :ــ

١ ــ المعادن الظاهرة :ــ

وهي المعادن التي لا تحتاج الى تطوير وبذل جهد لابراز وجهها الحقيقي وليس المقصود منها ما لا يحتاج الى مزيد عمل وسعي لاكتشافها والوصول اليها فالملح والنفط من المعادن الظاهرة بالرغم من الحاجة الى التنقيب عن النفط وحفر الآبار البترولية العميقة .

قال العلامة الحلي في القواعد لدى بحثه عن المعادن الظاهرة :ــ

« اما الظاهرة وهي التي لا تفتقر في الوصلة اليها الى مؤونة كالملح والنفط والكبريت والقار والموميا والكحل والياقوت ... الاقرب اشتراك المسلمين فيها فحينئذ لا تملك بالاحياء ولا يختص بها المحجر ولا يجوز اقطاعها ولا يختص المقطع بها والسابق الى موضع منه لا يزعج قبل قضاء وطره فان تسابق اثنان أقرع مع تعذر الجمع ويحتمل

القسمة وتقديم الاحوج » وفي جامع الشرائع والايضاح « انه لو قام الفرد لاخذ الزيادة عن حاجته منع » •

٢ ـ المعادن الباطنة القريبة من الارض :ـ

ويعنى بالمعادن الباطنة تلك المواد الطبيعية التي تستنزف من الانسان حيوية ونشاطا لانجازها وكشف حقيقتها مثل الذهب فانه يحتاج الى عمل وتطوير حتى تصبح المواد ذهبا • وهذه المواد المعدنية قد تكون قريبة من سطح الارض وفي متناول يدالانسان مثل الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والبلور والفيروزج فحكمها يضاهي حكم المعادن الظاهرة قال العلامة الحلى في التذكرة « فالمعادن الباطنة اما ان تكون ظاهرة ـ القريبة من سطح الارض ـ اولا فان كانت ظاهرة لم تملك بالاحياء ايضا كما تقدم في المعادن الظاهرة •»

٣ ـ المعادن الباطنة المستترة :ـ

واما المعادن التي اصطلحنا عليها بالمعادن الباطنة فان كانت موجودة في اعماق الارض وافتقرت الى التحري والحفر مضافا على الجهود والاعمال المتطلبة لابراز وجهها المعدني فتسمى بالمعادن الباطنة المستترة •

وهذه المعادن تكون من الاملاك العامة ويحق لخصوص

الانسان الذي احتمل جهود التنقيب والاستخراج ما يناله من الاعماق في حدود معقولة قال العلامة الحلي في القواعد وهو بصدد تحديد نطاق الملكية :ـ

« ولو حفر فبلغ المعدن لم يكن له منع غيره من الحفر من ناحية اخرى فاذا وصل ـ الغير ـ الى العرق لم يكن له ـ اي للحافر الاول ـ منعه لانه يملك المكان الذي حفره وحريمه ».

وقال في التذكرة :ـ « ومن جواز ذلك الحفر ـ اي من حفر في موضع آخر ـ لم يمنع وان وصل الى العرق سواء قلنا ان المعدن يملك بحفره او لم تقل لانه لو كان يملك فانما يملك المكان الذي حفره واما العرق الذي في الارض فلا يملكه ».

٤ ـ المياه الطبيعية المكشوفة :ـ

وتتمثل المياه الطبيعية المكشوفة التي تجري على وجه الارض في البحار والانهار والعيون فتعتبر من الثروات العامة وتخضع لمبدأ الملكية العامة ويسمح لجميع الافراد الاستفادة منها وقد قال الله سبحانه وتعالى :

« وَسَخَّرَ لَكُمُ الْبِحارَ وَالْأَنْهارَ » ..

وقال النبي الاعظم صلى الله عليه وآله « ان الناس شركاء في ثلاث الماء والنار والكلأ ».

٥ ـ المياه الطبيعية الجوفية :ـ

ان المياه الجوفية المكتنزة في اعماق الارض وباطنها والتي تحتاج الى حفر الآبار لنزح الماء منها تكون للجميع ولا يختص بها احد ابدا . ولكن الانسان اذا حفر بئرا واستخرج الماء جاز له ان يمنع الآخرين من المزاحمة في الاستفادة ولكنه لا يملك العين فاذا ارتوت اراضيه من الماء وانتهت حاجته منه بذل الزائد للآخرين من دون عوض فعن الامام الصادق عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن النطاف والاربعاء وقال لاتبعه ولكن اعره جارك او اخاك

٦ ـ الارض العامرة بشريا حين الفتح :ـ

اذا فتح المسلمون ارضا عامرة في نطاق احياء الانسان واستثماره لها غدت تلك الاراضي بأسرها للامة الاسلامية المعاشة والاجيال اللاحقة من دون ان يفسح المجال لاحد بتملك رقبة الارض ملكية خاصة . مثل أرض العراق التي فتحت عنوة في العقد الثاني من الهجرة .

ففي الحديث عن الحلبي قال سئل الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن السواد ـ الجزء العامر من ارض

العراق ـ ما منزلته فقال هو لجميع المسلمين لمن هو اليوم ولمن يدخل في الاسلام بعد اليوم ومن لم يخلق بعد ...

وفي تاريخ الفتوح الاسلامية ان الخليفة الثاني طولب بتقسيم الارض المفتوحة بين المحاربين من الجيش الاسلامي على أساس مبدأ الملكية الخاصة فاستشار الصحابة فأشار عليه علي عليه السلام بعدم التقسيم وقال معاذ بن جبل « انك ان قسمتها صار الريع العظيم في ايدي القوم ثم يبيدون فيصير ذلك الى الرجل الواحد او المرأة ثم يأتي من بعدهم قوم يسدون من الاسلام مسدا وهم لا يجدون شيئا فانظر امرا يسع اولهم وآخرهم.

هذه املاك تخضع للملكية العامة ولا يعترف الاسلام لاحد بملكية خاصة في هذه الثروات .

ومن الواضح ان هذه الاملاك تعتبر ثروة هائلة للبلاد وملكيتها العامة تبعث على رفع المستوى الاقتصادي للبائسين .

املاك الدولة :ـ

تعد الاموال والثروات التالية ملكا للدولة والتي تسمى في عرف قانون اليوم بـ « الاموال الخاصة للدولة ».

١ ـ الارض الميتة حال الفتح :ـ

اذا غزا المسلمون بلاد الكفار المتعنتين المتصلبين في غيهم وضلالهم وهزموهم هزيمة نكراء كانت اراضيهم الميتة ملكا للنبي او الامام بوصفه ولي الامر فتكون مثل هذه الاراضي ملكا للدولة لانها تعتبر من الانفال قال الله تعالى:

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلْ الأَنْفَالُ لِلهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » .

(١ / الأنفال)

والأنفال مجموعة من الثروات التي حكمت الشريعة بملكية الدولة لها . والآية الكريمة الآنفة الذكر تؤكد مبدأ ملكية الدولة للأنفال .

٢ ـ الارض العامرة طبيعيا حال الفتح :

لقد عد جمع كثير من الفقهاء المسلمين الاراضي العامرة طبيعيا حين فتحها على ايدي الجنود المسلمين من ملك الامام ويعتمدون في ذلك على النص القائل : « كل أرض لا رب لها هي للامام » والبقع التي عمرت طبيعيا مثل الغابات والاحراش من دون تدخل الانسان تدخل في اطار الاراضي

التي لا رب لها فتعود في النهاية الى ملكية الدولة .

٣ ـ الارض المسلمة بالدعوة :ـ

ان الكفار حينما يتلقون الدعوة الى الاسلام من المسلمين ويلبونها من دون ان تحتدم المعركة ويفتحون بلادهم في وجوه المسلمين مثل أرض المدينة واندونيسيا و ... غدت اراضي المستجيبين للاسلام بملء ارادتهم ملكا للدولة الاسلامية من دون فرق بين الاراضي الميتة او العامرة طبيعيا لانها تعد من الانفال .

٤ ـ الارض المسلمة :ـ

وتخضع الاراضي التي تسلم من قبل اصحابها الكفار الى المسلمين لمبدأ ملكية الدولة قال الله تعالى :

وَما أَفاءَ اللهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ وَلكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلى مَنْ يَشاءُ وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ » .

(٦ / الحشر)

٥ ـ الارض التي باد اهلها :ـ

اذا انقرض اهل ارض وابيدوا عن بكرة ابيهم كانت الارض للدولة فقد قال الامام موسى بن جعفر عليه السلام « ان للامام الانفال والانفال كل ارض باد اهلها » .

٦ - الاراضي المستجدة :-

ان الاراضي المستجدة مثل ظهور الجزيرة في البحر او النهر تندرج في نطاق ملكية الدولة تطبيقا لقول الامام عليه السلام « كل ارض لا رب لها هي للامام »٠

وهذه النظرية الاسلامية الى الارض توفر للانسان مهما كان فقيرا وعاجزا قطعة من الارض يأوي اليها ويسكن فيها وتوصد أبواب استغلال الاراضي بوجه المستأثرين والمحتكرين كما يستطيع ان يستثمر الارض في الزراعة لتغطية نفقاته وحاجاته من زرع الغلات او غرس الاشجار ٠

وهذه الملكية العامة للثروات الطبيعية وملكية الدولة للاراضي توجب شطرا كبيرا من معالجة الفقر والحاجة ٠

الفقراء واستثمار الطبيعة :-

يحتاج الفقير عندما يريد ان يستغل الطبيعة ويستثمر هذه الثروات العائدة للجميع الى آلات ووسائل يستعين بها لتسخير الطبيعة والاستفادة من خيراتها ٠

وقد التفت الاسلام الحكيم الى هذه الحاجة فانبرى لتغطيتها وسد هذه الثغرة في حياة الفقير لكي يستمر في العمل ويبذل الجهد في سبيل رفع مستواه الاقتصادي٠

حيث أمر الحاكم ان يعد الادوات ويؤمنها من بيت المال للمعوزين وييسر سبيل الارتزاق والعيش عبر الزراعة واحياء الارض •

لقد أمر الامام علي بن ابي طالب عليه السلام الذي جسد الاسلام في حكمه فترة خلافته القصيرة واليه على مصر مالك الاشتر في عهده اليه :ـ

« وتفقد أمر الخراج بما يصلح اهله فان في اصـلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم الا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله ••

وأضاف قائلا :ـ

« وليكن نظرك في عمارة الارض ابـلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة »•

وقـال :ـ

« ايها الناس ان لي عليكم حقا ولكم علي حق فاما حقكم علي فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم »•

والفيء هو ما يحتويه بيت المال ولا يكون توفير الفيء الا بعد تهيئة الوسائل التي تستعمل للاستفادة من الارض•

ويعزز هذا المضمون ما كتب الامام علي عليه السلام الى عامله بعد ان اشتكى اهل البلد عنده :ـ

اما بعد فان قوما من اهل عملك أتوني فذكروا ان لهم نهرا قد عفا ودرس وانهم ان حفروه واستخرجوه عمرت بلادهم وقووا على كل خراجهم وزاد فيء المسلمين قبلهم وسألوني الكتاب اليك لتأخذهم بعمله وتجمعهم لحفره والانفاق عليه ولست ارى أن اجبر احدا على عمل يكرهه فادعهم اليك فان كان الامر في النهر على ما وصفوا فمن أحب ان يعمل فسره بالعمل والنهر لمن عمل دون من كرهه ولئن يعمروا احب الى من ان يضعفوا والسلام ».

ولا يحدد النص الاسلامي الوسائل وكيفيتها وكميتها ونوعيتها لانها تتطور وتتقدم حسب تقدم العلم وتعمقه فترك شرحها وبسط الكلام فيها حتى تخضع للظروف والملابسات وتقدير الدولة لذلك وتأمينها للمواطن الفقير الذي يريد استثمار الطبيعة على ضوء الوسائل الحديثة.

الضمان الاجتماعي :ـ

ويدخل في نطاق المنهاج الاقتصادي الاسلامي للقضاء على الحاجة والفقر فرض قانون الضمان الاجتماعي مضافا الى اعطاء الحق للجميع في الانتفاع من الارض ، وجعل

الثروات الطبيعية من الاملاك العامة عائدا لجميع المسلمين.
ويكون الضمان الاجتماعي لكل انسان فقير يعجز عن النهوض باعباء حياته الاقتصادية من المسكن والعمل والملابس والاكل وايام المرض والشيخوخة وتأمين الحياة البيتية والثقافية للاولاد .

وقد غدا هذا الضمان حقا من حقوق الانسان لدى هيئة الامم المتحدة ففي المادة الخامسة والعشرين من وثيقة اعلان حقوق الانسان « لكل انسان الحق بالضمان في حالة البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وفي الحالات الاخرى التي يفقد فيها المرء وسائل معيشته لاسباب خارجة عن ارادته » .

ولكن الاسلام قد سن هذا الحق الانساني قبل اربعة عشر قرنا . وانطلق في ذلك من ايمانه بحق الجماعة في الثروات الطبيعية وانها ترتبط بالجميع

فمن كان متمكنا من العمل ولم تتوفر له الفرصة وجب على الدولة الاسلامية اتاحة الفرصة للعمل والانتفاع من الثروات الطبيعية . ومن لم يستطع العمل لشيخوخة او مرض فعلى الدولة ان توفر مستوى الكفاية من العيش .
وخير شاهد على الضمان الاجتماعي في الاسلام الآية الكريمة التي تشرح الفيء وموارد صرفه وانفاقه : قال الله تعالى:

« وَمَا أَفاءَ اللهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَما أَوْجفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ وَلكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ * مَا أَفاءَ اللهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذي الْقُرْبى وَالْيَتامى والْمَسَاكِينَ وابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنْهُمْ » .

(٦ / الحشر)

والاحاديث المأثورة عن اهل بيت النبوة تعزز الضمان الاجتماعي في الاسلام ففي الحديث عن الامام الصادق عليه السلام ان رسول الله كان يقول في خطبته من ترك ضياعه فعلي ضياعه ومن ترك دينا فعلي دينه »•

وعن الامام موسى بن جعفر « انه وارث من لا وارث له ويعول من لا حيلة له »•

وفي حديث آخر عن الامام موسى بن جعفر « من طلب هذا الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله فان غلب عليه فليستدن على الله وعلى رسوله

ما يقوت به عياله فان مات ولم يقضه كان على الامـــام قضاؤه فان لم يقضه كان عليه وزره ان الله عز وجل يقول:

« إِنَّما الصَّدَقَـــاتُ لِلْفُقَراءِ والمَسَاكِينَ والعامِلِينَ عَلَيْها » . (٦٠ / التوبة)

وكتب الامام علي بن ابي طالب عليه السلام الى واليه على مصر مالك الاشتر :

« ثم الله الله في الطبقــة السـفلى من الـذين لا حيلة لهم من المســاكين والمحتــاجـين واهل البؤس والزمـنى فان في هذه الطبقة قانعا ومعترا واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل يد فان للاقصى منهم مثل الذي للادنى وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييعك التافه لاحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم ».

« وتفقد امور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحـــمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لاولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر الى الله في تأدية حقه اليهم وتعهـد أهل اليتيم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه ».

وهذه النصوص الواضحة تدل على ان الضمان الاجتماعي قد أقر به الاسلام منذ سطوع نوره في المدينة المنورة للقضاء على مشكلة الفقر والبؤس •

ولا يقتصر الضمان على خصوص المسلمين بل يحتوي في نطاقه الكافر من اهل الكتاب •

وقد نقل الفقيه المحدث الشيخ الحر العاملي حديثا عن الامام علي عليه السلام انه مر بشيخ مكفوف كبير يسأل فقال امير المؤمنين ما هذا فقيل له يا امير المؤمنين انه نصراني فقال الامام استعملتموه حتى اذا كبر وعجز منعتموه انفقوا عليه من بيت المال •

مورد الدولة للضمان الاجتماعي :ـ

لقد وضع في رصيد الضمان الاجتماعي من الدولة الاسلامية زائدا على الاملاك العامة واملاك الدولة التي أسلفنا الحديث عنها موارد اخرى عينية او نقدية ولا يسمح لاي فرد فرضت عليه الضريبة المالية الافلات منها ولا التخفيض من الكمية المفروضة مهما طال الزمن على وقت الدفع • وهذه الموارد هي :ـ

١ ــ الزكاة

ان الزكاة في الاسلام ضريبة واجبة لمعالجة الحاجـــة والفقر ، فعن اسحق بن عمار قال قلت لـلامام جعفر بن محمد اعطي الرجل من الزكاة مئة قال نعم قلت مئتين قــال نعم قلت ثلاثمائة قال نعم قلت اربعمائة قــال نعــم قلــت خمسمائة قال نعم حتى تغنيه •

وعن الامام الصادق عليه السلام قال ان الله عز وجــل فرض الزكاة كما فرض الصلاة فلو ان رجلا حمل الزكاة فأعطاها علانية لم يكن عليه في ذلك عيب وذلك ان اللــه عز وجل فرض للفقراء في اموال الاغنياء ما يكتفون به ولو علم ان الذي فرض لهم لا يكفيهم لزادهم وانما يــــؤتى الفقراء فيما اوتوا من منع من منعهــم حقوقهـــم لا من الفريضة(١)•

وتجب الزكاة على الغلات الاربعة والانعام الثـــلاثة والنقدين : ــ

١ ــ **الغلات الاربعة** وهي الحنطةوالشعير والتمر والزبيب ولها نصاب واحد وهو ثمانمائة وسبعة واربعين كيلوغراما تقريبا فاذا كان السقي من السماء والسيح او كان بعلا ففيه العشر وما يسقى بالدلاء والنواضح ففيه نصف العشر •

---

(١) الوسائل ج٦ ص٣ ح٣

ب ـ **الانعام الثلاثة** وهي الابل والبقر والغنم ولكل منها نصاب خاص به :ـ

نصاب الابل :ـ

يكون للابل اثنا عشر نصابا :ـ

١ ـ خمس وفيها شاة .

٢ ـ عشر وفيها شاتان .

٣ ـ خمس عشرة وفيها شياه ثلاثة .

٤ ـ عشرون وفيها اربع شياه .

٥ ـ خمس وعشرون وفيها خمس شياه .

٦ ـ ست وعشرون وفيها بنت مخاض ـ ما دخل من الغنم في السنة الثانية ـ .

٧ ـ ست وثلاثون وفيها بنت لبون ـ ما دخل من الغنم في السنة الثالثة ـ .

٨ ـ ست واربعون وفيها حقة ـ الداخلة من الغنم في السنة الرابعة ـ .

٩ ـ احدى وستون وفيها جذعة ـ الداخلة من الغنم في السنة الخامسة ـ .

١٠ ـ ست وسبعون بنتالبون .

١١ ـ احدى وتسعون حقتان .

١٢ ـ مائة واحدى وعشرون او اكثر وفيها في كلخمسين

حقة وفي كل اربعين بنت لبون حسب اختياره •

نصـاب البقر :ـ

اعتبر للبقر نصابان :ـ

١ ـ ثلاثون بقرا وفيها البقر الداخـل في العام الثاني من عمره •

٢ ـ اربعون بقرا وفيها المسنة وهي البقرة الداخـلة في السنة الثالثة •

والزيادة على هذا النصاب الاخير تعد ايضا على نمط الثلاثين والاربعين •

نصاب الغنم :ـ

ونصاب الغنم خمسة :ـ

١ ـ اربعون وفيها شاة •

٢ ـ مائة واحدى وعشرون وفيها شاتان •

٣ ـ مائتان وواحدة وفيها ثلاث شياه •

٤ ـ ثلاثمائة وواحدة وفيها اربع شياه •

٥ ـ اربعمائة واكثر فلكل مائة شاة •

شروط زكاة الانعام :ـ

وتشترط الزكاة في الانعام الثلاثة بما يلي :ـ

١ ــ بلوغ النصاب •

٢ ــ الرعي على العشب والكلأ حولا كاملا •

٣ ــ عدم كون الحيوان مسخرا وعاملا في حرث الارض ونزح الماء •

٤ ــ مضي حول واحد على الحيوان •

النقــدان :ــ

ويعنى بالنقدين الذهب والفضة ، وتجب فيهما الزكــاة اذا توفرت فيهما الشروط التالية :ــ

١ ــ النصــاب :ــ

فانه في الذهب عشرون دينارا وفيه نصف دينار (١) ثــم لكل اربعة دنانير ربع العشر • فلا زكاة في الاقل من عشرين دينارا او الاقل من اربعة اربعة اذا غدا اكثر من عشرين•

وفي الفضة مائتا درهم وفيها خمس دراهم ثم لكل اربعين درهما درهم واحد (٢) بلغ ما بلغ •

---

(١) والدينار وهو يساوي مثقالا شرعيا .

(٢) كل عشرة دراهم تساوي دينارا شرعيا .

٢ ـ ان يكونا مسكوكين بالسكة التي تروج المعاملة بهـــا .

٣ ـ مرور عام واحد على المسكوك من الذهب او الفضة .

وترى المذاهب الثلاثة الحنفية والشافعية والمالكية وجوب الزكاة في الاوراق النقدية المتداولة في العالم لانها امـــا تعد بمثابة الذهب والفضة واما ان تكون من قبيل الديـــن على البنك وتجب الزكاة على الدين من الذهب والفضة .

واما الحنابلة فقد قالوا بان الاوراق النقدية اذا امكـــن استبدالها بالذهب والفضة وتوفرت عـــلى شروط الزكـــاة وجبت الزكاة في الاوراق والعمولات ولا زكاة في الاوراق النقدية اذا لم يسمح القانون المصرفي باستبدالها الى الذهب والفضة .

ويحصر مذهب اهل البيت الزكاة في الذهب والفضـــة وقوفا عند النص المأثور من رسول الله صلى الله عليه وآله ولا زكاة في الاوراق النقدية بتاتا .

٢ ـ زكاة الفطرة :ـ

يجب على المسلـــم الميسور ان يدفع عن نفســـه وعن كل من يعيله ليلة عيد الفطر ثلاث كيلوات من الطحـــين او الخبز او الشعير او التمر او الارز او ... او ثمنه .

ولا فرق في وجوب دفع هذه الضريبة على المسلم بين أن يكون صائما او مفطرا وبين ان يكون حاضرا او مسافرا وبين ان يكون ملتزما بالعبادات الاسلامية او تاركا للفرائض ومجترحا للموبقات والمنكرات .

واذا تمعنا في هذه الفريضة وعدد المسلمين في العالم البالغ ستمائة وخمسين مليونا واعتبرنا مائتين وخمسين مليونا منهم فقراء بلغت الكمية المالية التي تجبى بين عشية وضحاها من المسلمين ستمائة مليون كيلو من المواد الغذائية او ثمنها وهذا قدر كبير من المال يحصل عيه الفقراء في وقت قصير جدا .

٣ ـ الخمس :ـ

والخمس ضريبة مالية اخرى قد وضعت على اشياء عديدة وهو دفع خمس الشيء او ثمنه الى الجهة الشرعية العادلة المسؤولة لانفاقها في المصالح الاجتماعية وسد عوز الفقراء وشقائهم ويجب في :ـ

١ ـ غنائم دار الحرب قوله تعالى :

« وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَانَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِذِي الْقُرْبى والْيَتامى وَالْمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ » . (٤١ / الأنفال)

٢ ـ المعادن وهي كل ما يستخرجه الانسان من الثروات الطبيعية من الارض مثل الذهب والفضة والحديد والنحاس والفيروزج و ...

٣ ـ الكنز اذا عثر الانسان على كنز مدفون في الارض ملكه وعليه خمسه ، عندما يكون ثمنه اكثر من عشرين دينارا شرعيا .

٤ ـ ما يؤخذ بالغوص من البحر مثل الجواهر واللؤلؤ والمرجان دون الثروات الحيوانية .

٥ ـ عندما يشتري الكافر الذمي من المسلم ارضا وجب عليه ان يدفع خمس الارض الى الدولة الاسلامية للاعتراف بملكيته لها وحماية حقوقه فيها .

٦ ـ اذا اختلط المال الحرام بالمال الحلال ولم يتميز ولم يعرف مقدار الحرام منه ولا صاحبه اخرج خمس المجموع وحل الباقي .

٧ ـ الزائد على مؤونة السنة .

يجب على كل مسلم مهما كانت حرفته ومهنته وكيفما كان سبيل ارتزاقه من العامل والمزارع والموظف والعالم والتاجر والمهندس والطبيب و ... ان يختار يوما لتجريد

اعماله الاقتصادية من الوارد والصادر فله ما آكل وشـــرب وأنفق على عائلته واصدقائه ومـــا قدمه للزمـــلاء والاحبة من الهدايا والتحف وما يشتري من السكن وابتاع من اثاث البيت والسيارة ثم فاض عن كل هذه المصروفات قدرا آخر وجب عليه ان يخمسه مما كان يسيرا او كثيرا .

وفي الحديث الشريف عن الامام الباقر عليه السلام حيث كتب اليه رجل مستدعيا اخبرني عن الخمس اهو على جميع ما يستفيده الرجل من قليل وكثير من جميع الضروب وعلى الضياع وكيف ذلك فكتب بخطه الخمس بعد المؤونـــة. وهـــذا مورد كبـــير لتكثير بيـــت مـــال المسلمين وتأمـــين حاجة الفقراء والمساكين.

ونلمس في هذا اليوم ان بعض المؤمنين يدفعون خمـــس اموالهم وبه يسدون عوز كثير من العوائل الفقيرة البائسة كما ان الشؤون الدينية كلها عامرة بهذا الحق الشـــرعي فكيف لو ان جميع المسلمين التزموا بدفع هـــذه الضريبـــة المفروضة من الله عليهم ؟

٤ ـ كفارة الاحرام :ـ

يحظر على المحرم امور مشتركة على الرجال والنســـاء وامور تختص بكل واحد منهما فاذا خالف المنع وارتكـــب المنهى عنه مثل ان يستظل الرجل بظل متحرك او تـــزين

المرأة في الاحرام وجب على المخالفة ان يفدي بذبح حيوان مأكول اللحم وينفقه على الفقراء•

٥ ـ كفارة الافطار العمدي :ـ

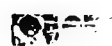
اذا افطر الانسان في شهر رمضان عمدا وجب عليه ان يكفر عن كل يوم باطعام ستين مسكينا او كسوتهم واقل ما يجب دفعه لكل فقير ما يقرب من سبع مائة وخمسين غراما من المواد الغذائية وله ان يستعيض عن هذا الاتفاق بصيام شهرين متتابعين او تحرير رقبة اذا تمكن من ذلك •

٦ ـ الكفارة الصغيرة :ـ

اذا حنث المسلم لنذره او يمينه او خالف عهده مع الله وجب عليه صيام ثلاثة ايام او اطعام عشرة مساكين لكل مسكين سبع مائة وخمسين غراما من الطحين او الخبز او الشعير او مادة اخرى غذائية او كسوتهم •

٧ ـ فدية الصوم :ـ

وهي تجب على عدة اصناف لم يتمكنوا من الصيام في شهر رمضان وهم :ـ



ا ـ الشيخ والشيخة وهما العجوزان البالغان من العمر

سن الكبر •

ب ــ الحامل المقرب •

جـ ــ المرضعة القليلة اللبن •

د ــ المريض الذي استمر به المرض الى حلول رمضان القادم •

هـ ــ تأجيل قضاء ما عليه من صيام شهر رمضان من عام الى آخر •

ومقدار الفدية عن كل يوم قدر سبعمائة وخمسين غراما من احدى المواد الغذائية مع وجوب القضاء على بعض الاصناف المذكورين حسب ما هو مندرج في تعاليم الصوم •

وهذه ضرائب الزامية موضوعة على المسلمين لتغطية نفقات بيت مال المسلمين وجعل رصيده ثريا قادرا على تغطية نفقات الفقراء والمحتاجين •

التكافل الاجتماعي :ــ

ويندرج التكافل الاجتماعي في اطار المنهاج الاقتصادي الموضوع لمعالجة الفقر وشقاء البؤس والحاجة •

لقد ربط الاسلام المجتمع الاسلامي بعضه ببعض بعروة الاخوة الوثقى ففي القرآن الكريم :

« إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ » .

والنص الشريف المأثور من اهل بيت الرسالة « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » و « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ».

ومن هذا المنطلق فرض الاسلام على المسلمين ان يراعوا هذه الرابطة المقدسة وينهضوا بشؤونها ومتطلباتها فأوجب على الغني ان يقوم بأود اخيه المسكين الفقير وكفالة بعضهم للآخر حسب امكانياته وقدراته المالية. وهذه بعض النصوص التشريعية التي تومىء الى مبدأ التكافل الاجتماعي:ـ

قال الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم « ما آمن بي من امسى شبعانا وجاره جائع ».

وقال ايضا : « ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعانا وجاره جائع » .

وعن سماعة « انه سأل الامام جعفر بن محمد عن قوم عندهم فضل وباخوانهم حاجة شديدة وليس يسعهم الزكاة أيسعهم ان يشبعوا ويجوع اخوانهم ؟ فان الزمان شديد

فرد الامام عليه قائلا ان المسلم اخو المسلم لا يظـلمه ولا يخذله ولا يحرمه فيحق على المسلمين الاجتهاد فيهوالتواصل والتعاون عليه والمواساة لاهل الحاجة (١)٠

وعن فرات بن احنف عن ابي عبدالله عليه السلام ايمـا مؤمن منع مؤمنا شيئا ما يحتاج اليه وهو يقدر عليه مـن عنده او من عند غيره اقامه الله يوم القيامة مسودا وجهـه مزرقة عيناه مغلولة يداه الى عنقه فيقال هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ثم يؤمر به الى النار » (٢) ٠

وعن ابي عبد الله عليه السلام ايما مؤمن حبس مؤمنا عن ماله وهو محتاج اليه لم يذقه الله من طعام الجنة ولا يشرب من الرحيق المختوم (٣)٠

فالغني ينفق على اخيه الفقير ويعيله شعورا منه بمبـدأ الاخوة والوحدة المتكاملة وتآزر اعضاء الاسرة الواحـدة٠ ولا يبقى بعد ذلك مجال للبؤس والشقاء٠

واذا توانى المجتمع الاسلامي عن القيام بهذه المسؤولية

---

(١) الوسائل للحر العاملي حـ١١ ص ٥٩٧ ٠

(٢) الوسائل للحر العاملي حـ١١ ص ٥٩٩ ٠

(٣) الوسائل للحر العاملي حـ ١١ ص ٦٠١

الاخوية الزم الحاكم بوصفه ولي الامر للمسلمين بتنفيذ هذا المبدأ وامتثال الحكم الشرعي فان الدولةالاسلامية تتمتع بالصلاحية على اكراه الامة والرعايا المسلمين على تطبيق هذا الحكم الشرعي الذي يقضي على مشكلة الفقر لدى المجتمع • كما يحق لها اكراه المسلمين على الخروج الى الجهاد عندما تشعر الدولة بخطر غزو العدو واحتلاله للاراضي الاسلامية •

النفقة اللازمة :ــ

ونلمس وجوب النفقة في نطاق ضيق لتنظيم الاسرة ودمج العائلة الواحدة بعضهم في البعض الآخر فيجب على الزوج ان ينفق على الزوجة لقوله تعالى :

« الرِّجالُ قَوّامُونَ عَلَى النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ وَبِما أنْفَقُوا » .
(٢٤ / النساء)

ويجب على الابوين الغنيين ان ينفقا على اولادهما لدى حاجتهم وفقرهم وكذلك على احفادهم وذريتهم مهما نزلوا •

كما تجب على الاولاد الميسورين اعالة الوالدين والجد والجدة مهما علوا •

وفي الحديث الشريف عن الامام الصادق عليه السلام « اوتي أمير المؤمنين بيتيم فقال خذوا بنفقته أقرب الناس منه من العشيرة كما يأكل ميراثه ».

الدولة ومبادرتها لمعالجة الفقر :-

وبعد ان استعرضنا الاساليب المختلفة لمكافحة الفقر في الاسلام من وجهة نظر الدين في الاراضي وقيام الدولة بالضمان الاجتماعي لكافة المواطنين وتكليف الامة بالتكافل يجب ان نذكر الخطوة الاحتياطية التي رسمها الاسلام في هذا المضمار حيث سمح لولي الامر الحاكم في الدولة الاسلامية ان يقاوم الفقر اذا تبين له بان الحاجة لا تزال قائمة في المجتمع بالرغم من التكافل والتضامن او ان رصيد الضمان منخفض ومستوى الحاجة مرتفع فله الحق ان يسن بعض القوانين لالزام المسلمين بدفع ضرائب جديدة حتى تتم التغطية ولا تبقى فجوة في الحياة الاجتماعية . والحاكم يدرس الظروف بدقة فائقة ويضع الضريبة ونوعيتها على ما يراه مناسبا مع مراعاة عدم الاجحاف بالدافع .

ففي رواية زرارة ومحمد بن مسلم عن الامامين الباقر والصادق عليهما السلام جميعا « قالا وضع امير المؤمنين عليه السلام على الخيل العتاق الراعية في كل فرس في كل عام دينارين وجعل على البراذين دينارا ».

مع ان الزكاة تجب على الابل والغنم والبقر . ولعل مثل هذا التشريع من الامام علي عليه السلام كان بدافع معالجة الفقر وعدم كفاف موارد بيت المال آنذاك لتغطية حاجة المساكين او المؤسسات الاجتماعية ، فالتجأ الى هذه الضريبة لتخفيف الضغط والعجز عن الميزانية المالية للدولة.

كما ان هذه الصلاحية في التشريع لولي الامر تخوله من وضع حد امام الشخصيات التي تتوفر لديهم الامكانيات الهائلة لكسب المشروع الذي يفضي الى ثروات كبيرة من جهة مما يزيد الفاصل بين افراد الشعب الواحد ومزاحمة الآخرين من ذوي الكسب والمال المحدود فان احياء الارض مثلا كان في الايام المنصرمة باليد والدابة والمحراث وان الفرد اذا بذل قصارى جهده في سبيل احياء الارض لما تجاوزت الرقعة التي يحييها عشرات الامتار في حين ان احياء الارض في الزراعة قد غدت بايدي الوسائل الصناعية الحديثة المتطورة التي تزرع آلاف الاميال من الارض في برهة قصيرة جدا ، ففي هذه الحالة تتدخل الدولة لوضع قانون يمنع المستثمرين للطبيعة بهذا الشكل الواسع وتحدد نشاطاتهم وتحركاتهم في نطاق ينسجم مع المصلحة الاجتماعية العليا .

فقد نقل الترمذي عن رافع بن خديج انه قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وآله عن امر كان لنا نافعا اذا كانت

لاحدنا ارض ان يعطيها ببعض خراجها او بدراهم وقال اذا كانت لاحدكم ارض فليمنحها اخاه او ليزرعها .

مع ان اجارة الارض عمل مباح في الاسلام ولكن النبي صلى الله عليه وآله قد منع عنها باعتباره ولي الامر وفقا للظروف التي عاشها .

وفي عهد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام الى مالك الاشتر « واعلم ان في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكما في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل واسعار لا تجحف بالفريقين في البائع والمبتاع »...

مع ان البائع حر في بيع بضاعته باي سعر احب وشاء ولكن الامام بوصفه ولي الامر منع التجار عن البيع بثمن فاحش .

فيحافظ ولي الامر عبر هذه الصلاحية التي منحها الاسلام على التوازن الاجتماعي ويلبي حاجات المجتمع ويحقق المصالح الاجتماعية ويقضي على الحاجة والفقر التي قد تتوفر في الطبقة الكادحة العاملة .

المنة والريـاء :ـ

لا يسمح الاسلام العظيم للمنفق ان يزهو بانفاقه ويتبختر على المحسن اليه الفقير ويمن على من يقدم له المساعـدة. ويعتبر ذلك افسادا للاحسان والانفاق :

« يا أيُّها الَّـذينَ آمَنُـوا لا تُبْـطِـلُوا صَدَقاتِكُـمْ بِالْمَـنِّ وَالأذى كالَّـذي يُنْـفِـقُ مالَهُ رِئاءَ النّـاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَـوْمِ الآخِرِ فَمَثَـلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْـهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمّا كَسَبُوا وَاللهُ لا يَهْدي الْقَوْمَ الْكافِرينَ » .

٢٦٤ / البقرة

فلا ثواب ولا اجر اذاكان الدفع مصحوبا بالرياء والانفاق باعثا على المن ولا امتثال للتكليف المالي الذي فرضه اللـه سبحانه عندما يشوبه شيء من الرياء . فان الرياء مفسـد للعبادة . ولا فرق بين الصلاة والصوم والحج والزكـاة والخمس و ... والانفاقات المالية الواجبة او المستحبـة في انها طاعة للاله فتجب ان تخلو من شائبة الرياء والمـن واذا رافق الرياء العطاء المالي وجبت اعادة الدفـع كما ان الصلاة تفسد عندما يتسرب اليها الرياء.

ويضاف الى ذلك ان المكافأة الالهية مرتبطة بتجردالانفاق والاحسان عن الرياء والمن :

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ في سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِأَةُ حَبَّةٍ واللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ واللهُ واسِعٌ عَليمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ في سَبيلِ اللهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنّاً وَلا أذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أذىً وَاللهُ غَنِيٌ حَلِيمٌ .

البقرة / ٢٦٣

ثم ان الدولة الاسلامية هي التي تقوم عبر مؤسسة الجباية باستلام الاموال وتوزيعها على المحتاجين بمثل ما تنهض الدول المعاصرة عبر وزارة المالية بجمع الاموال وصرفها على الموظفين ومؤسسات الدولة . والمؤمن عندما يدفع حقوقه الشرعية او الكفارات فهو يدرك بان هذا المال المقتطع يكون من حق الفقير وليس له فيه حظ ولا نصيب. ويعلم بانه يجب ان يدفع لوجه الله من دون رياء او منة.

فلا يبقى مجال للاحساس بالمن من طرف والاحتقار والازدراء من طرف آخر •

الأثراء على حساب الغير :ـ

ومن أساليب مكافحة البؤس والحاجة والحيلولة دون الثراء الفاحش على حساب المستهلكين تحريم السبل اللامشروعة التي تدر على صاحبها الاموال الطائلة ومنع المستأثرين من التلاعب بمصير الامة •

ومن هذا المنطلق فرض الاسلام مراقبة الاثمان في الاسواق حتى لا يجحف البائع بالمشتري ولا يتلاعب بمقدرات الشعوب في سبيل الاثراء على حساب الفقير، فمنع ممارسة المعاملات والاعمال التالية :ـ

١ ـ الربا :ـ

وهو التفاضل في المال نقدا او نسيئة عند تبادل المثلين فان الربا على نوعين :ـ

أ ـ في المعاملة

ويهدف منه بيع احد المثلين بالآخر مع زيادة عينية في احدهما مثل بيع مائة كيلو من الحنطة او الشعير او الرز او••• بمائة كيلو او اكثر في الوقت الحال الحاضر او زيادة

حكمية مثل بيع مائة كيلو رز نقدا بمائة كيلو رز نسيئة.

ب ـ في القرض

وهو ان يدفع الانسان مالا لشخص آخر قرضا لمدة معلومة على ان يدفع له اكثر عند حلول الوقت مثل ان يقرضه مائة جنيه لمدة سنة على ان يدفع له عند حلول الاجل المضروب مائة وعشر جنيهات .

ويحرم الربا بكلا نوعيه في الاسلام الحنيف ففي القرآن الكريم آيات كثيرة منها :ـ

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّ الْبَيْعَ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ .

(٢٧٦ / البقرة)

والروايات مستفيضة في حرمة الربا والمنع منه •

فعن الامام الصادق عليه السلام قال درهم ربا عند الله اشد من سبعين زنية كلها بذات محرم •

٢ ـ الاحتكار

وهو « حبس السلعة والامتناع من بيعها لانتظار زيادة القيمة مع حاجة المسلمين اليها وعدم وجود الباذل لها »•

وفي الحديث الشريف عن النبي الاعظم صلى الله عليه وآله « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون »• وفي حديث آخر عنه صلوات الله عليه « لا يحتكر الطعام الا خاطىء » وفي عهد الامام علي عليه السلام لواليه على مصر مالك الاشتر :

« واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكما في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه ـ ثم يتابع قائلا ـ فمن قارف حكرة من بعد نهيك اياه فنكل به وعاقبه من غير اسراف »•

٣ ـ التسعير المجحف :ـ

ويعنى به وضع اثمان مرتفعة تجحف بالمبتاعين ففي العهد

لمالك الاشتر : « وليكن البيع سمحا بموازين عدل واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع ».

٤ ـ الغبن :ـ

وهو شراء بضاعة بثمن اكثر من القيمة المتداولة بما لا يتسامح به عند عامة الناس مع جهل المشتري بالسعر المتعارف .

ففي رواية صحيحة « غبن المسترسل سحت » وفي حديث آخر « غبن المؤمن حرام » .

٥ ـ التطفيف :ـ

ويقصد منه التنقيص على وجه الخيانة في الكيل والوزن وهو حرام بنص من القرآن الكريم :

« وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذا اكْتالُوا عَلى النّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُون لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبِّ العالَمِينَ » .
(٥ / المطففين)

٦ ـ البخس :ـ

البخس نقص المكيل والموزون على سبيل الظلم والحيف

ــ لا على وجه الخيانة كما هو الشأن في التطفيف ــ قائلا:

« فَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ » .

(٨٥/اعراف)

أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ .

(٣٥/الاسراء)

٧ ــ الغش :ــ

ويراد منه كتمان عيب السلعة على المشتري خدعة ففي النص الشريف «من غش الناس ليس بمسلم» وقوله عليه السلام « من غش الناس في شراء او بيع فليس منا ويحشر يوم القيامة مع اليهود لانهم أغش الخلق للمسلمين» .

٨ ــ المراهنة :ــ

ان الرهان على مال في اللعب يعد قمارا من دون فرق بين انواع القمار واساليبه المتبعة في العالم :

« يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ».
(٩٠ / المائدة)

والميسر هو القمار •

ففي الحديث عن ابي الحسن عليه السلام قال : النرد والشطرنج والاربعة عشر بمنزلة واحدة وكل ما قومر عليه فهو ميسر •

٩ ــ الغصب :ــ

ان الغصب هو الاستيلاء على مال الغير ظلما مثل السرقة والاختلاس • ويعتبر من الموبقات والسيئات العظيمة ولا يسمح لاحد باغتصاب مال مهما كان يسيراً او حقيراً•

قوله تعالى :

« الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً».
(١٠ / النساء)

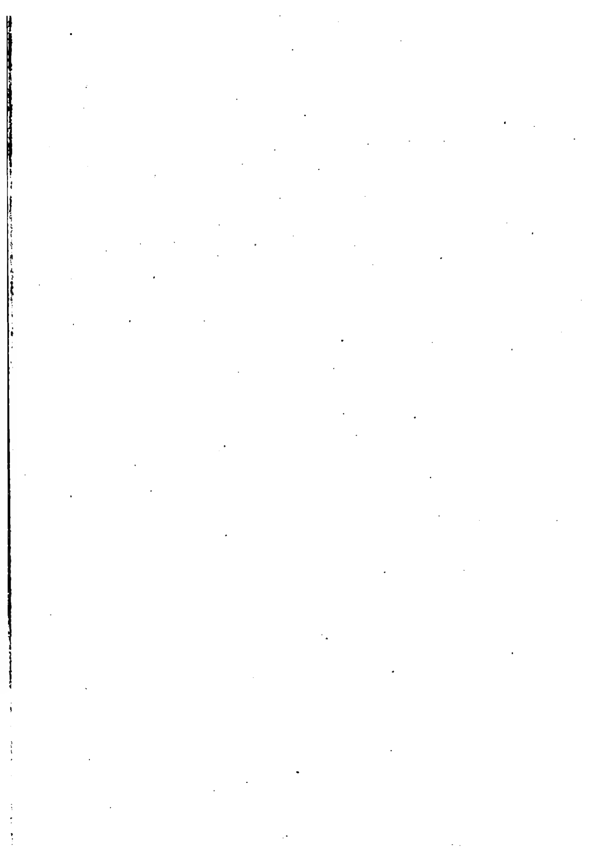
وفي الحديث الشريف « لا يحل مال امرىء الا عن طيب

نفس منه » وفي الحديث ايضا « حرمة مال المسلم كحرمة دمه » ٠

هذه هي الصورة المقتضبة التي التقطناها من الاسلام لمقاومة الفقر وازالة البؤس والشقاء عن المجتمع الذي يعتنق الدين الحنيف ٠

واسأل الله سبحانه ان يوفقنا على الاهتداء بنور القرآن وهدى الاسلام انه سميع مجيب ٠

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين٠



الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة